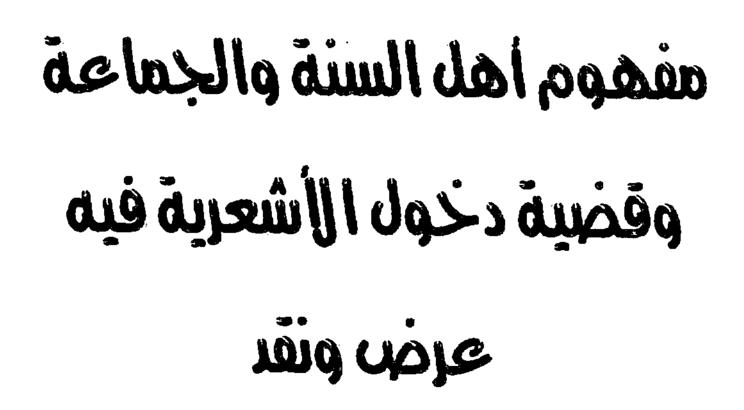


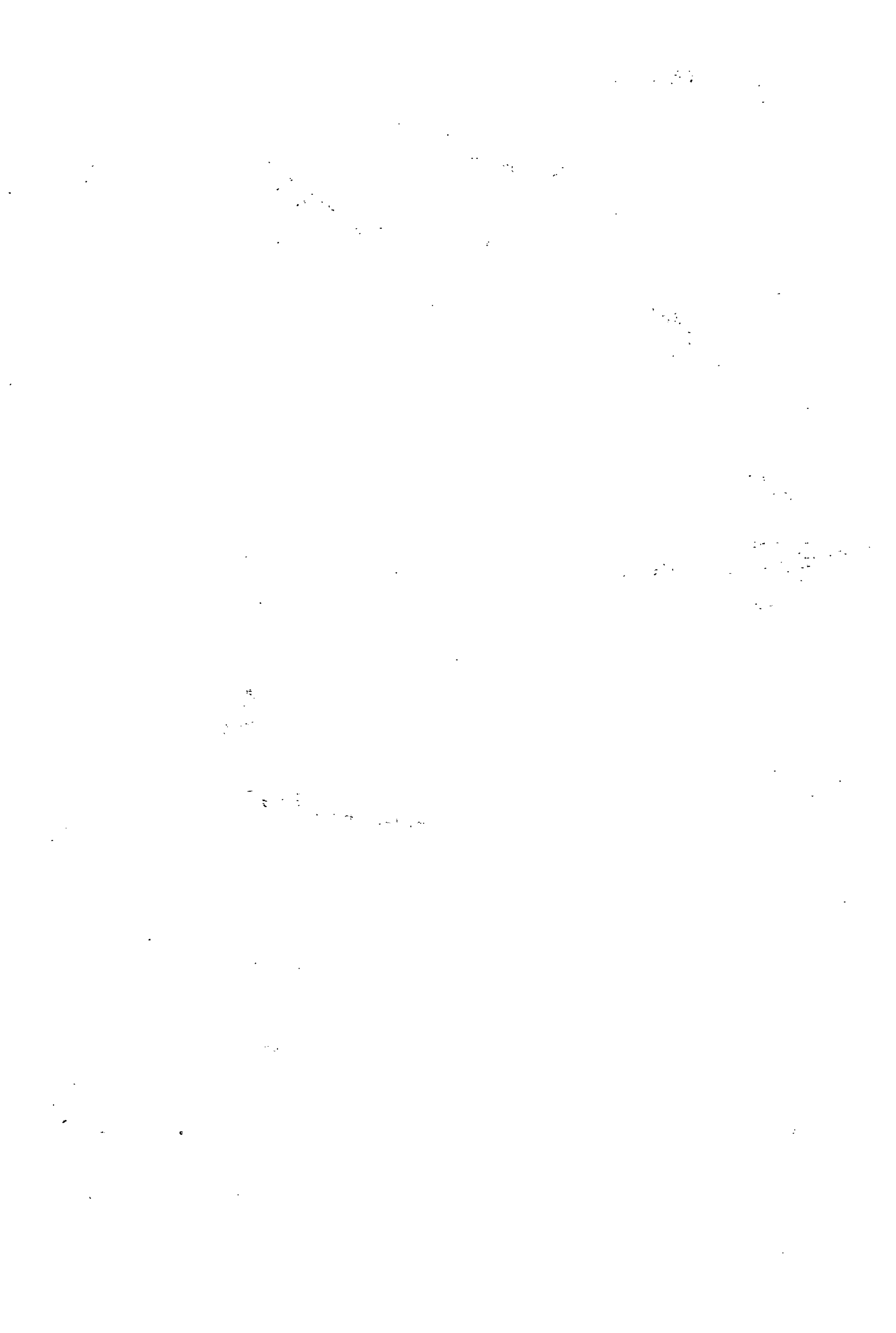
مفهوم أهل السنة والجماعة وقضية دخول الأشعرية فيه عرض ونقد

إعـــــداد

دكتور / رجب محمود خضر سعيد

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

بكلية أصول الدين بالقاهرة



المقدمة

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيـــاء الله ، ومن والاه ، وبعد :

فقد تحدث صاحب دراسة (منهج الأشاعرة في العقيدة) عن معنى مصطلح (أهل السنة والجماعة) فذكر :

أن الأشعرية لا يدخلون فيه أبداً ؛ لأنهم – في نظره – يختلفون مع أهل السنة في كل الأبواب والأصول مـــن أول مصـــدر التلقـــي حتـــى آخـــر السمعيات ...

وقد تبعه في ذلك كثير من البـــاحثين المعاصـــرين مـــن أنصـــار المدرسة التي ينتمي إليها

(مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله)

ومن هنا عزمت – بصفتي أزهري متخصص في العقيدة – علـــى طرح هذه الدعوى على بساط البحث العلمي الموضوعي ؛ لنرى هل هي مطابقة للواقع ونفس الأمر أم لا ؟ :

فكانت هذه الدراسة :

(مفهوم أهل السنة والجماعة ، وقضية دخول الأشعرية فيـــه : عـــرض ونقد).

عرضت فيها وجهة نظر الباحث ، بأمانة شديدة ، وذكرت أهـــم المآخـــذ العلمية عليه ، ثم قمت ببيان معنى المصطلح ، والمصطلح المقابـــل لـــه

(أهل الأهواء والبدع) ، وأهم العلامات التي يعرف بها كل منهما ، وهل الأشعرية من (أهل السنة) أم لا ؟

وقد اعتمدت – في تحديد هذا المفهوم – على نصوص القرآن والسنة ، ومعاجم اللغة ، وعلى كتب علماء الإسلام ، وبخاصة الشيوخ الذين يثق الباحث صاحب الدراسة المذكورة في كلامهم ، وينقل كثيراً عنهم ، كالإمام ابن تيمية .

وقد اشتملت هذه الدراسة على : مقدمة ، وثلاثة مطالب، وخاتمة .

أما المقدمة : فتحدثت فيها عن موضوع البحث ، وسبب اختياره ، ومحتوياته ..

وأما المطلب الأول : ففي بيان الباحث لمعنى مصطلح " أهل السنة والجماعة " وأهم المآخذ عليه .

وأما المطلب الثاني : ففي بيان معنى مصطلحي : " أهل السنة والجماعة"

و" أهل الأهواء والبدع" وأهم العلامات التي يعرف بها كل منهما .

وأما المطلب الثالث : ففي بيان دخول (الأشعرية) في ماصدقات أي من المصطلحين .

وأما الخاتمة : ففي ذكر أهم نتائج البحث .

فالله أسأل أن يوفقني لإتمامه واتقانه ، بفضله وإنعامه ، وأن ينفع به طلاب العلم والباحثين عن الحقيقة ، وأن يجعلنا من المخلصين ..

اللهم آمين



المطلب الأول :

بيان الباحث لمعنى مصطلح

(أهل السنة والجماعة)

وأهم المآخذ عليه

يأخذ صاحب دراسة (منهج الأشاعرة في العقيدة)[1] على أحد العلماء أنه عدّ الأشعرية من أهل السنة دون أن يذكر معنى المصطلح تفصيلا ، فيقول :

" كان بودي أن يفصل الشيخ معنى مصطلح أهل السنة ودخول الاشاعرة فيه أو عدمه "[2]

ومن ثم قام هو بهذه المهمة ، فقال :

" إن مصطلح أهل السنة والجماعة يطلق ويراد به معنيان :

(أ) المعنى الأعم : وهو ما يقابل الشيعة فيقال : المنتسبون للإسلام قسمان : أهل السنة والشيعة ، مثلما عنون شيخ الإسلام كتابه في الرد على الرافضي (منهاج السنة) وفيه بين هذين المعنيين ، وصرح أن ما ذهبت إليه الطوائف المبتدعة من أهل السنة بالمعنى الأخص.

وهذا المعنى يدخل فيه كل من سوى الشيعة كالأشاعرة ، لا سيما والأشاعرة فيما يتعلق بموضوع الصحابة والخلفاء متفقون مع أهل السنة ، وهي نقطة الاتفاق المنهجية الوحيدة ..

(ب) المعنى الأخص : وهو ما يقابل المبتدعة وأهل الأهواء ، وهو الأكثر استعمالاً وعليه كتب الجرح والتعديل ، فإذا قالوا عن الرجل : إنه

---

[1] وهو : الدكتور سفر الحَوَالي ، وسأقول بعد ذلك – إختصاراً – قال الباحث كذا ، ويرى الباحث كذا ، وهكذا.
والكتاب المذكور طبع مكتبة العلم – القاهرة ، بدون تاريخ .

[2] ص ٨ ، والعالم المشار إليه هو : الشيخ محمد علي الصابوني .

صاحب سنة أو كان سنياً أو من أهل السنة ونحوها ، فالمراد أنه ليس من إحدى الطوائف البدعية ، كالخوارج والمعتزلة والشيعة ، وليس صاحب كلام وهوى . وهذا المعنى لا يدخل فيه الأشاعرة أبداً ، بل هم خارجون عنه ." [1]

نقد هذا الكلام :

هذا كل ما قاله الباحث عن تفصيل معني مصطلح (أهل السنة والجماعة) فهل وجد القارئ الكريم فيه بياناً لمعنى المصطلح ؟ !!

إن التعريف – كما هو معروف – يقصد منه بيان معنى المعرَّف وتحديده ، ويكون ذلك : إما بذكر ما يفيد تصوره بالكنه والحقيقة ، وإما بذكر ما يميزه عن جميع ما عداه .

وكل ما ذكره الباحث أن لهذا المصطلح معنيين :

١- أعم ، وهو المقابل للشيعة .

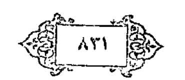
٢- وأخص ، وهو المقابل لأهل الأهواء والبدع .

فهل يُكتَفى في تعريف الشئ بذكر مقابله ؟ !!

لقد بين العلماء أنه يجب الاحتراز عن تعريف الشئ بما يساويه في المعرفة والجهالة ، كتعريف الحركة بما ليس بسكون ، فإن الحركة والسكون كلاهما في مرتبة واحدة من حيث المعرفة والجهالة ، فمن

---

[1] نفس المصدر : ص ٨ – ٩ .



عرف الحركة عرف السكون ، وبالعكس ، ومن جهل السكون جهل الحركة ، وبالعكس ، فهما يعلمان معاً ويجهلان معاً .[1]

وعليه : فمن شروط التعريف أن يكون أظهر وأجلى من المعرَّف ، وما ذكره الباحث ليس كذلك ؛ لأنه تعريف بالمساوي معرفة !! هذا من جهة .

ومن جهة ثانية :

فإن الباحث قد ساق المعنيين المذكورين لمصطلح أهل السنة ، وكأنهما من إصطلاح

العلماء ، وليس الأمر كذلك ؛ لأن الأول منهما – الذي سماه بالأعم – ليس من اصطلاح العلماء

، وإنما هو إطلاق العوام .

وهذا ما صرح به ابن تيمية نفسه – وهو المصدر الذي استقى منه الباحث معلوماته في هذا الصدد – حيث قال : " إن العامة لا تعرف

---

[1] تيسير القواعد المنطقية شرح الرسالة الشمسية ، لأستاذنا الدكتور محمد شمس الدين إبراهيم – رحمه الله – ص ١١١ بتصرف ، تصحيح د. نصر القاضي ، مطبعة حسان – القاهرة ، ط ٤ ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م . وانظر أيضاً : حاشية العطار على شرح الخبيصي ص ١٣٠ ، الناشر دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م . وحاشية البيجوري على متن السلم ص ٤٥ ، ط مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٤٧هـ . والمرشد السليم في المنطق الحديث والقديم لأستاذنا الدكتور عوض الله حجازي – رحمه الله – ص ٩١ ، دار الهدى للطباعة ، ط ٨ ، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .

من شعائر البدع إلا الرافضة ، والسني في اصطلاحهم : مـن لا يكـون رافضياً " [١]

فإن قيل : وماذا يفيد هذا الأمر ؟

قلت : كأن الباحث يريد أن يرسخ في أذهان قرائه أن من عدّ الأشـعرية ضمن (أهل السنة) من العلماء ، فهو يقصد بمصطلح (أهـل السـنة) المعنى الأعم : المقابل للشيعة ، وليس المعنى الأخص : المقابـل لأهـل الأهواء والبدع !!

فكان على الباحث أن يلتزم الدقة في تعبيراته ، فيذكر أن المعنى الأول : هو اصطلاح العامة ، والآخراصطلاح العلماء !!.

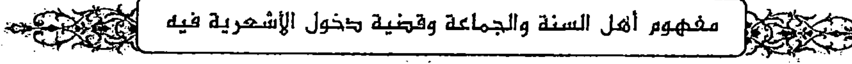
<u>وثمة أمر ثالث وقع فيه الباحث</u> :

وهو أنه خلط بين مصطلحي (الشيعة والروافض) ، حيث ذكر – كما رأينا – أن

---

[١] نقض المنطق ص ١٠٧ ، ت محمد عبدالرازق وآخر ، ت صحيح محمـد حامـد الفقي ، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت ،ط ١ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .

ولعل في قصة قتل العامة للرافضة بالقيروان سنة (٤٠٧هـ) ما يدل على هـذا ، ومن ذلك قول : " الشيخ العامي : لم لا تقتلوه الآن ، فإن كان رافضياً أصبتم وإن كان سنياً عجلتم بروحه إلى الجنة "[ترتيب المـدارك وتقريب المسالك ، للقاضي عياض ، ١٠٦/٧ ، ت سعيد أحمد أعراب ، الناشر مكتبـة فضـالة – المحمديـة ، المغـرب ، ط١ ، ١٩٨٢م] فوضع السنة في مقابل الرافضة .



مصطلح (أهل السنة) بالمعنى الأعم يقابل الشيعة ، وصرح بأنه نقل هذا الكلام من ابن تيمية ،

وبالرجوع إلى كلام الشيخ تبين أنه لم يذكر كلمة (الشيعة) وإنما ذكر لفظ (الروافض) ، حيث

قال : " فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة .. وهو اصطلاح العامة ، كل من ليس برافضي قالوا هو من أهل السنة " [1]

والفارق بين تعبير الباحث وتعبير ابن تيمية كبير؛ وذلك لأن مصطلح (الشيعة) أعم ومصطلح (الروافض) أخص ، فكل رافضي شيعي ، وليس العكس ، إذ ليس كل الشيعة يرفض إمامة الثلاثة ..

ومن له أدنى إلمام بتاريخ الفرق يعرف واقعة ترك الروافض للإمام زيد بن علي ، بسبب إقراره بإمامة الشيخين – رضي الله عنهما – ، وقوله لهم إذ ذاك : رفضتموني ، فسموا بالرافضة [2]

ألم يقرأ الباحثُ قولَ الشيخ ابن تيمية ؟ :

---

[1] منهاج السنة النبوية ٢ / ١٠٤ ، ت د. محمد رشاد سالم ، الناشر مؤسسة قرطبة ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ .

[2] انظر : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، للأشعري ١/ ١٣٦ – ١٣٧ ، ت محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية – بيروت ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .

والملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٥٥ ، ت محمد سيد كيلاني ، الناشر دار صعب – بيروت ،١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م

" وأما لفظ الرافضة : فهذا اللفظ أول ما ظهر فى الاسلام لما خرج زيد بن علي بن الحسين فى أوائل المائة الثانية فى خلافة هشام بن عبدالملك ، واتبعه الشيعة ، فسئل عن أبى بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما ، فرفضه قوم ، فقال : رفضتمونى رفضتمونى ، فسموا الرافضة . فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن على ، والزيدية يتولون زيداً وينسبون اليه .

ومن حينئذ انقسمت الشيعة الى : زيدية ورافضة إمامية " [١]

وعليه : فيكون التعريف معيباً ؛ لكونه غير مانع من دخول غيرالرافضي فيه ..

على أن ههنا مأخذاً رابعاً ، هو الأهم من وجهة نظري ؛ لأنه يكشف للقارئ عن حقيقة خطيرة ، تعمد الباحث إخفاءها عنه ؛ لأنه لو أظهرها لهدمت ما رام إثباته !!

المأخذ الرابع :

ذكر الباحث أن ذلك البيان لمعنيي مصطلح "أهل السنة" إنما أخذه من الشيخ ابن تيمية ، لكنه لم يكن أميناً في نقل ما ذكره الشيخ في هذا الصدد .

لنقرأ ما قاله ابن تيمية : " فلفظ أهل السنة يراد به : من أثبت خلافة الثلاثة ، فيدخل في ذلك

---

[١] الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية ص ٢٥ ، الناشر دار الطباعة المحمدية بالأزهر – القاهرة ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

جميع الطوائف إلا الرافضة . وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة ، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول إن القرآن غير مخلوق ، وإن الله يرى في الآخرة ، ويثبت القدر ، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة " [1]

هكذا قال (فلا يدخل فيه ..إلخ)

فالرجل يحدد بدقة أن اسم "السنة المحضة" إنما يطلق على من يثبت الصفات والرؤية والقدر، ويرفض القول بخلق القرآن ..

فهل الأشعرية يثبتون تلك الأصول ، ويرفضون هذا القول ، أم لا ؟

والإجابة ، بالطبع ، واضحة لمن عنده أدنى معرفة بكلام القوم ، ولا أكون مبالغاً إن قلت : إن أكبر وأقوى من رد على منكري الصفات ، والرؤية ، والقدر، والقائلين بخلق القرآن ، هم الأشعرية .

وأدنى إطلالة على كتبهم ، في العقيدة والتفسير وشروح الحديث وغيرها، تظهر ذلك بجلاء .

وابن تيمية يقر بهذا الأمر، في مواضع كثيرة من كتبه ، بل ويسمي الأشعرية صراحة

(أهل الإثبات) ؛ لكونهم " يثبتون الرؤية ، ويقولون : القرآن غير مخلوق، ويقولون : إن الله حي بحياة عالم بعلم، قادر بقدرة .." [2]

---

[1] منهاج السنة النبوية ٢/٩٧- ٩٨ .

[2] شرح العقيدة الأصفهانية ص ١٢٧ المحقق: محمد بن رياض الأحمد ،الناشر: المكتبة العصرية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٥هـ .



والعجيب أن هذه التسمية وردت في نفس الموضع الذي تحدث فيه عن معنيي مصطلح (أهل السنة) [1]

ويسميهم أيضاً : (الصفاتية) ؛ لإثباتهم الصفات الواردة في الكتاب والسنة .[2]

ويعيب ابن تيمية على صاحب " العقيدة الأصفهانية " أنه لم يذكر في اعتقاده ما تتميز به الأشعرية عن المعتزلة ، ويقول : " ولا ذكر أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ولا ذكر مسألة الرؤية وإن رؤية الله جائزة في الدنيا واقعة في الآخرة ، ولا ذكر أيضا مسائل القدر وأن الله خالق أفعال العباد وإنه مريد للكائنات ، ولا ذكر أيضا مسائل الأسماء والأحكام وأن الفاسق لا يخرج عن الإيمان بالكلية ولا يجب إنفاذ الوعيد بل يجوز العفو عن أهل الكبائر ، ولا ذكر مسائل الإمامة والتفضيل . وكل هذه الأصول تذكر في مختصرات المعتقدات التي يصنفها متأخرو الأشاعرة كالعقيدة القدسية لأبي حامد والعقيدة البرهانية المختصرة من إرشاد أبي المعالي ونحوهما ، فضلا عن الاعتقاد الذي تذكره أئمة الأشعرية كالقاضي أبي بكر وذويه فإنهم يزيدون على ذلك إثبات الصفات الخبرية .. " [3]

وانظر : بيان تلبس الجهمية ٥٣٩/٣ . ومجموع الفتاوى ١٤٧/٤.

[1] انظر : منهاج السنة النبوية ٩٨/٢ .

[2] انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ٥٥٤/٣ تحقيق ابن قاسم ، مطبعة الحكومة – مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٢هـ

[3] شرح العقيدة الأصفهانية ص ٧٥ .



فلم التغافل عن هذا ؟!!

المأخذ الخامس :(موقف ابن تيمية من مسألة سنية الأشعرية[1])

ويؤخذ على الباحث أيضاً – في بيانه السابق – أنه حاول إيهام القارئ بأن الشيخ يقف من الأشعرية نفس موقفه ، زاعماً أنه " لم يصدر من شيخ الْإِسْلَام مدح مُطلق للأشاعرة أبدا وَإِنَّمَا غَايَة مدحه لَهُم.. أن يصفهم بِأَنَّهُم أقرب من غَيرهم ... لَكِن هَذَا أقل بِكَثِير من الْمَوَاضِع الَّتِي صرح فِيهَا بتبديعهم وتضليليهم، وَفَسَاد منهجهم فَهِيَ أَكثر من أَن تحصر." [2]

والواقع أن ابن تيمية لم يطلق القول بتبديع الأشعرية ، ولم ينف عنهم اسم (السنة) ، بل أقربجهودهم في الدفاع عن السنة ومقارعة المبتدعة .

انظرإليه ، وهو يعقب على قول سلطان العلماء العزبن عبدالسلام: " وَأَمَّا لَعْنُ الْعُلَمَاءِ الْأَئِمَّةِ الْأَشْعَرِيَّةِ فَمَنْ لَعَنَهُمْ عُزِّرَ ، وَعَادَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ ؛ فَمَنْ لَعَنَ مَنْ لَيْسَ أَهْلًا لِلَّعْنَةِ وَقَعَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ. وَالْعُلَمَاءُ أَنْصَارُ فُرُوعِ الدِّينِ وَالْأَشْعَرِيَّةُ أَنْصَارُ أُصُولِ الدِّينِ." [3]

---

[1] يحتاج هذا الموضوع إلى بحث مستقل ، نسأل الله أن يعين عليه .

[2] منهج الأشاعرة في العقيدة ص ٧ .

[3] مجموع الفتاوى ٤/١٦ تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ/١٩٩٥م.

بقوله : " فَالْفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ أَيْضًا إنَّمَا مَنَعَ اللَّعْنَ وَأَمَرَ بِتَعْزِيرِ اللَّاعِنِ لِأَجْلِ مَا نَصَرُوهُ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ ، وَهُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ مُوَافَقَةِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ وَالْحَدِيثَ." [١]

فابن تيمية – كما هو واضح – يقر بفتوى أبي محمد بمنع لعن الأشعرية وتعزير لاعنهم، معترفاً

بنصرتهم (أصول الدين) وردهم على أهل البدع المخالفين للكتاب والسنة.

والباحث لما وقف على هذا الكلام راح يقول : " إن هـذه العبـارة المذكورة (وَالْأَشْعَرِيَّةُ أَنْصَارُ أُصُولِ الدِّينِ) ليست من قول شيخ الإسلام ، بل قائلها أشعري يمدح مذهبه " [٢]

وإني أقول : نعم هذا ليس من كلام ابن تيمية ، لكنّه أقـره ، بـل وعلله ووضحه ، ولم يعترض عليه أوينكره .

---

[١] المصدر السابق ٤/ ١٧ .

[٢] منهج الأشاعرة ص ٥ . وذكر الباحث في هامش (٢) من نفس الصفحة : أن " قائلها هو أبومحمد الجويني والد أبي المعالي (ت ٤٤٠)" وذكر آخـرون – مـنهم : محقق (نقض المنطق) ص ١٤ ، والشيخ ناصر بن حمد الفهد (مُعِدّ الرسالة للمكتبة الشاملة ص ٢٨) – أنه العز بن عبد السلام، وقد صوب الأخير ذلك ، بحق ، لعـدة أسباب ، منها : أن ابن تيمية يكنى ابن عبد السلام بأبي محمد كثيرا ، ويصفه بالفقيه وقد ذكره في هذه الرسالة (٤ / ٦٥) فقال (كان الفقيه أبو محمد بن عبد السـلام) ، وقال في موضع آخر : (٢ / ١٣١) (وقال الفقيه أبو محمد بـن عبـد السـلام. . . فكفره الفقيه أبو محمد) ، وغيرها.

ومنها : أن ابن تيمية قال في هذه الرسالة (٤/ ٨٨) : (ولطريقة أبي المعالي كان أبو محمد يتبعه في فقهه وكلامه) فكيف يتبع الوالد ولده؟

إن ابن تيمية يصرح بانتساب الأشعرية إلى السنة ، لنقرأ : " لما كان أبوالحسن الأشعري وأصحابه منتسبين إلى السنة والجماعة كان منتحلاً للإمام أحمد ، وذاكراً أنه مقتد به متبع سبيله " [1] إن " انتساب الأشعري وأصحابه إلى الإمام أحمد خصوصا وسائر أئمة أهل الحديث عموما ظاهر مشهور في كتبهم كلها."[2]

ولم يفتأ ابن تيمية يقرر أنهم " صاروا بما يقيمونه من السنة ، ويردونه من بدعة هؤلاء (الرافضة والقرامطة) ونحوهم : لهم من المكانة عند الأمة بحسب ذلك " [3] .

وأنهم " إِنَّمَا قَبِلُوا وَاتَّبِعُوا واستحمدوا إِلَى عُمُومِ الْأُمَّةِ بِمَا أَثْبَتُوهُ مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ مِنْ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ ، وَصِفَاتِهِ ، وَإِثْبَاتِ النُّبُوَّةِ ، وَالرَّدِّ عَلَى الْكُفَّارِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ وَبَيَانِ تَنَاقُضِ حُجَجِهِمْ ، وَكَذَلِكَ استحمدوا بِمَا رَدُّوهُ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ ، وَالْمُعْتَزِلَةِ ، وَالرَّافِضَةِ ،وَالْقَدَرِيَّةِ ، مِنْ أَنْوَاعِ الْمَقَالَاتِ الَّتِي يُخَالِفُونَ فِيهَا أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ." [4]

وينص الشيخ ابن تيمية – في كلام بالغ الأهمية – على أنه " لَمْ يَتَّبِعْ أَحَدٌ مَذْهَبَ الْأَشْعَرِيِّ وَنَحْوَهُ إلَّا لِأَحَدِ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ (موافقة السنة ،

---

[1] مجموع الفتاوى ٤/١٦٧ .

[2] شرح العقيدة الأصفهانية ص ١٢٧ .

[3] نفس المصدر السابق ٤/ ١٨ .

[4] المصدر السابق ٤ /١٢.

والرد على من خالفها) أَوْ كِلَيْهِمَا. وَكُلُّ مَنْ أَحَبَّهُ وَانْتَصَرَ لَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَائِهِمْ فَإِنَّمَا يُحِبُّهُ وَيَنْتَصِرُ لَهُ بذلك " [١] .

فإن قال قائل : إن هذه النقول (عن ابن تيمية) إنما تثبت ما ذكره الباحث من جانب المدح من الشيخ للأشعرية ، لكنها لا تنفي وجود نقول أكثر تذم القوم وتتهمهم باتباع المعتزلة والفلاسفة ..

قلت : نعم هناك نصوص كثيرة من الشيخ ، لا يستطيع إنكارها أحد ، وردت في معرض الذم والاتهام ، لكنّ الشيء المهم الذي لم يذكره الباحث : هو أن هذا الاتهام وذاك الذم لم يكونا لجميع الأشاعرة ، بل كان للمتأخرين منهم ، في بعض المسائل ، وليس في جميعها أو أكثرها أو كثير منها .

وبيان ذلك بإيجاز شديد : أن الرجل يصوب متقدمي الأشعرية ؛ لأنهم – في نظره – يثبتون " الصفات المعلومة بالسمع ، كما يثبتون الصفات المعلومة بالعقل " [٢]

ويخطئ المتأخرين منهم ، كأبي المعالي الجويني وغيره ، لكونهم – في نظره – " لا يثبتون إلا الصفات العقلية ، وأما الخبرية : فمنهم من ينفيها ، ومنهم من يتوقف فيها كالرازي والآمدي " [٣]

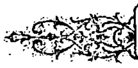
---

[١] نفس المصدر والصفحة .

[٢] منهاج السنة النبوية ٢ / ٩٨ – ٩٩ .

[٣] نفسه ٩٩/٢. وانظر أيضاً : بيان تلبيس الجهمية ٣٢٣/٢ . ويلاحظ أن ابن تيمة عبر بلفظي (التصويب والتخطئة) وهذا له دلالته البالغة ، فتأمله .





وبالطبع ، أنا لا أريد الآن أن أناقش هذه القضية ، ولكنّ الذي يَهمني هنا : هو أن ابن تيمية – بالرغم من كثرة هجومه على المتأخرين من الأشعرية – لم ينف عنهم اسم السنة بالكلية ، بل نص على :

أن " الأشعرية .. في الجملة : لا يطعنون في السلف ، بل قد يوافقونهم في أكثر مقالاتهم " [1] وأن " في كلامهم من الأدلة الصحيحة وموافقة السنة مالا يوجد في كلام عامة الطوائف "[2]

وأنهم مجمعون " على تعظيم السنة والحديث " [3]

وأنهم " يُعَظِّمُونَ .. بِمَا وَافَقُوا فِيهِ السُّنَّةَ وَالْحَدِيثَ " [4]

وبالتالي : فهم " يَنْتَحِلُونَ السُّنَّةَ وَيَنْحَلُونَهَا" [5] والذم الذي يوجه إليهم يكون بقدر ما خالفوا فيه [6] .

وأطلق ابن تيمية حكمه على متكلمي الأشعرية بأنهم : " أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث ، وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة ونحوهم ، بل هم

---

[1] مجموع الفتاوى ٤/١٥٦.

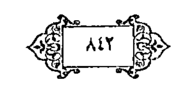
[2] بيان تلبيس الجهمية ٢/٨٧ .

[3] مجموع الفتاوى ٤/١٧.

[4] نفسه ٤/١٨.

[5] نفسه ٤/١٨.

[6] *انظر* نفس المصدر والصفحة .



أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها المعتزلة والرافضة ونحوهم "[١]

هكذا يصرح الرجل بأنهم عند النظر إلى المعتزلة ونحوهم من أهل الأهواء والبدع يعدون من أهل السنة والجماعة ، وليس من المبتدعين ، كما يزعم الباحث .

ويزيد على ذلك : بأنهم هم أهل السنة والجماعة لا غير في البلاد التي يغلب عليها أهل الأهواء الكبار ، وفي هذا إشارة واضحة بأنهم هم الأقدر على مواجهة تلك الطوائف وإفحامها..

وعلى كل حال : فلو افترضنا صحة ما زعمه الباحث ، من أن ابن تيمية يعدّ الأشعرية جملة من الطوائف المبتدعة الخارجة عن أهل السنة والجماعة ؛ فهل كلام الرجل حجة واجبة القبول ؟ وهل هو معصوم فيما يقول ؟ اللهم لا .

فكيف وقد نقلنا نصوص كلامه الدالة على خلاف المزعزم ؟ !!

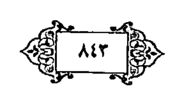
وبعد : فهذه أهم المآخذ على بيان الباحث لمعنى مصطلح " أهل السنة والجماعة "

وقد بان من خلالها بُعْدَه عن البيان الموضوعي والتعريف العلمي ..

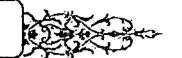
فإن قيل : إن من ينقد عملاً ما ، عليه أن يذكر العمل الصحيح ، وأنت قد نقدت بيان الباحث صاحب " منهج الأشاعرة في العقيدة " لمعنى ذاك المصطلح ، فهلا ذكرت لنا البيان الصحيح له.

---

[١٨] بيان تلبيس الجهمية ٢/٨٧ .



قلت : نعم أفعل ذلك ، وأضيف إليه بيان معنى المصطلح المقابل له (أهل الأهواء والبدع) وأهم العلامات التى يعرف بها كل منهما ؛ ليكتمل البيان . فإلى هناك :



المطلب الثاني :

بيان مفهوم مصطلحي

(أهل السنة والجماعة)

و(أهل الأهواء والبدع)

وأهم العلامات التي يعرف بها كل منهما

إن مصطلح " أهل السنة والجماعة " مكون من ثلاث كلمات ، هي :

(أهل) : وهي تستعمل في اللغة مضافة إلى شيئ ، فيقال :(أهل الرجل) أي من يجمعه وإياهم مسكن واحد ، و(أهل المذهب) أي من يدين به ، و(أهل الأسلام) أي من يدين به ، (أهل الأمر) أي ولاته ،و(أهل الشئ) أصحابه ، وهكذا .[1]

و(السنة) : وهي تطلق ويراد بها في اللغة :

الطريقة والسيرة حسنة كانت أو قبيحة ، وهي مأخوذة من السَّنَنِ وهو الطريق ويقال للخَطّ الأَسود على مَتْنِ الحمار : سُنَّة .

والسُّنَّة في الأَصل سُنَّة الطريق ، وهو طريق سَنَّه أَوائل الناس فصارَ مَسْلَكاً لمن بعدهم ، يقال : سَنَّ فلانٌ طريقاً من الخير يَسُنُّه إِذا ابتدأَ أَمراً من البِرِّ لم يعرفه قومُه فاسْتَسَنُّوا به وسَلَكُوه، وفي حديث المجوس :

---

[1] انظر : المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ص ٢٩ ، ت محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ط الأخيرة ،١٣٨١ هـ – ١٩٦١م .

ولسان العرب ، لابن منظور١١/ ٢٨ (مادة : أهل) ، الناشر دار صادر – بيروت ، ط ١ .

والقاموس المحيط ، للفيروز آبادي ٣ / ٣٤٢ (مادة : أهل) بيروت ، بدون تاريخ .

وظهر الإسلام ، لأحمد أمين ٤ / ٧٠ ، الناشر المكتبة التوفيقية – القاهرة ، بدون تاريخ .

(سُنّوا بهم سُنّة أهل الكتاب [1]) أي خذوهم على طريقتهم وأجْرُوهم في قبول الجزية مُجْراهم ..[2]

معنى السنة في الاصطلاح :

يختلف معناها باختلاف المصطلحين :

---

[1] أخرجه : مالك في الموطأ ، باب جزية أهل الكتاب والمجوس ، رواية يحيى الليثي ، برقم ٦١٦ ، ١/٢٧٨ (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – مصر)عن جعفر بن محمد بن علي ، عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال : ما أدري كيف أصنع في أمرهم ، فقال عبدالرحمن بن عوف : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول .. (فساقه) .
وابن أبي شيبة في مصنفه ، باب ما جاء في المجوس يؤخذ منهم شئ من الجزية ، برقم ١٠٧٦٥ ، ٢/٤٣٥ (تحقيق : كمال الحوت ، الناشر : مكتبة الرشد – الرياض ، ط١، ١٤٠٩هـ) قال : حدثنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر عن أبيه .. به .
وعبد الرزاق في مصنفه ، باب أخذ الجزية من المجوس ، برقم ١٠٠٢٥ ، ٦/٦٨ (تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ) قال : أخبرنا ابن جريج قال : حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه .. به .
والبزار في مسنده (مسند عبد الحمن بن عوف) برقم ١٠٥٦ ، ٣/٢٩٤، به ، ثم قال : وهذا الحديث قد رواه جماعة عن جعفر عن أبيه ولم يقولوا : عن جده ، وجده علي بن الحسين . والحديث مرسل ، ولا نعلم أحدا قال : عن جعفر عن أبيه عن جده إلا أبو علي الحنفي عن مالك (وكان ثقة) .

[2] لسان العرب ١٣ / ٢٢٠ (مادة : سنن) . وانظر : القاموس المحيط ٤ / ٢٣٩ . والمفردات ص ٢٤٥ (نفس المادة) .

فعلماء الفقه يطلقون هذه الكلمة ويريدون بها : الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب .. كالأذان ، والإقامة، والسنن ، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك ...[1]

وعلماء الحديث يريدون بها : ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة ..[2]

فالسنة عندهم مرادفة للحديث [3]

وعلماء أصول الفقه يريدون بها : ما يريده علماء الحديث .[4]

ويعدونها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ، بعد الكتاب [5] .

وعلماء السلف قديماً كانوا يطلقون اسم السنة :على الطريقة المستقيمة التي كان عليها النبي – صلى الله عليه وسلم – وخلفاؤه الراشدون في الاعتقادات والأعمال والأقوال [6].

---

[1] التعريفات ، للجرجاني ص ١٠٧ – ١٠٨ بتصرف ، طبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م .

[2] نفس المصدر ص ١٠٨ . وانظر : الموافقات ، للشاطبي ٤ / ٣- ٧ ،

[3] انظر: الوجيز في علوم الحديث ، لأستاذنا الدكتور الخشوعي الخشوعي ، ص ١٠ ، طبعة الجمعية الشرعية ٢٠٠٨م.

[4] انظر: نهاية السول في شرح منهاج الأصول ، للأسنوي ص ٦١٧ – ٦١٩ ، طبعة جامعة الأزهر ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

[5] انظر : الموافقات ٤ / ٧ .

[6] جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، ص ٤٦٠ بتصرف ، تحقيق ماهر الفحل ، الناشر الدار العلمية – الأزهر،ط ١ ،١٤٣٤هـ–

وهذه هي السنة الكاملة – كما يقول العلامة ابن رجب (ت ٧٩٠هـ) – ؛ لكونها الطريق السالمة من الشبهات والشهوات جميعا .[١]

وروي معنى ذلك عن الحسن والأوزاعي والفضيل بن عياض .[٢]

وعلى هذا : فيطلق لفظ " السنة " في مقابل " البدعة " ، فيقال :

" فلان على سنة ، إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي صلى الله عليه و سلم ، كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أو لا، ويقال : فلان على بدعة إذا عمل على خلاف ذلك .

وكأن هذا الإطلاق إنما اعتبر فيه عمل صاحب الشريعة فأطلق عليه لفظ السنة من تلك الجهة وإن كان العمل بمقتضى الكتاب .

ويطلق أيضا لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة ، وجد ذلك في الكتاب أو السنة أو لم يوجد ؛ لكونه اتباعا لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا أو اجتهاداً مجتمعاً عليه منهم أو من خلفائهم ، فإن إجماعهم إجماع

٢٠١٣م. وانظر أيضاً : كشف الكربة في وصف أهل الغربة ، لابن رجب أيضاً، مطبوع ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب

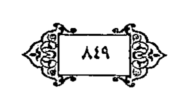
الحنبلي ص ٣١٩ دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني ، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر الطبعة: الثانية،

١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣ م . وفيه : " ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة : طريقة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات

والشهوات " فقد وضع ابن رجب في التعريف هنا (الصحابة) مكان (الخلفاء) ، وهو ما تردد فيه أيضاً الشاطبي في الموافقات.

[١] انظر : جامع العلوم والحكم ص ٢٦٨ . وكشف الكربة ص ٥٥ .

[٢] جامع العلوم ، نفس الصفحة .



وعمل خلفائهم راجع أيضا إلى حقيقة الإجماع من جهة حمل الناس عليه حسبما اقتضاه النظر المصلحي عندهم .."[1]

ومما يدل على هذا الاطلاق :

قول النبي – عليه الصلاة و السلام– : {عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ }[2].

والبدعة تعني في اللغة :

الاختراع على غير مثال سابق ، ومنه قوله تعالى : {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[البقرة : ١١٧، والأنعام : ١٠١] أي مبدعها من غير مثال سابق متقدم . ويقال : ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق ، ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة ، فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع ، وهيئتها هي البدعة ، وقد يسمى العلم المعمول على

---

[1] الموافقات ٤ / ٢٩٠ – ٢٩١ تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، الناشر: دار ابن عفان ، ط١ ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

[2] أخرجه أبوداود في سننه : كتاب السنة ، باب لزوم السنة ، برقم (٤٦٠٩) من حديث العرباض بن سارية ، واللفظ له .

والترمذي في سننه : كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة برقم (٢٨٩١) وقال : حسن صحيح .

وابن ماجه في سننه : باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين برقم (٤٤) .

وأحمد في المسند : من حديث العرباض برقم ٤٦٥. والحاكم في مستدركه : كتاب العلم ، برقم ٣٢٩ وصححه ووافقه الذهبي .

ذلك الوجه بدعة ، فمن هذا المعنى سمي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة ، وهو إطلاق أخص منه في اللغة [1].

فالبدعة إذن : عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه .[2]

وعليه : فإن أهل السنة هم المتبعون لما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – وصحابته – رضي الله عنهم – لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث ، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه .

وإن أهل البدعة هم المظهرون شيئاً لم يكن قبل ولا مستند له .[3]

---

[1] الاعتصام ، للشاطبي ، ١ / ٤٥ – ٤٦ بتصرف ، تحقيق محمد عبدالرحمن الشقير، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

[2] نفس المصدر والصفحة بتصرف .

[3] انظر : تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، ص ٣٤ ، ٣٨ ، ت رضوان جامع رضوان ، الناشر المكتب الثقافي – القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م . هذا ويذكر ابن الجوزي علامة مفرقة – في نظره – بين أهل السنة وأهل البدعة : وهي أن الأولين لم يكتموا مذهبهم ، فكلمتهم ظاهرة ، ومذهبهم مشهور ، بينما يستتر أهل البدعة ببدعتهم ، ويستدل على هذا بحديث { لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون }(وهو في الصحيحين) [انظر : التلبيس ، نفس الصفحة]

وعلماء أصول الدين وغيرهم من المتأخرين (وهو بيت القصيد هنا) :

يخصون اسم (السنة) بما يتعلق بالاعتقادات فقط ؛ لكونها أصل الدين والمخالف فيها على خطر عظيم .[1]

يقول ابن رجب : " ثم صار في عرف كثير من العلماء المتأخرين ، من أهل الحديث وغيرهم ، السنة عبارة : عمن سَلِمَ من الشبهات في الاعتقادات خاصة : في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة .." [2]

قلت : وهذا هو الاستعمال الشائع لمصطلح (أهل السنة) في كتب العقيدة والفرق والتفسير والحديث والتاريخ وغيرها ، وهو المعنى المقصود في بحثنا هذا .

ويقابل هذا المصطلح (أهل السنة) مصطلح (أهل الأهواء) ويطلق على المخالفين لأهل السنة في العقائد خاصة ؛ ولهذا عرّف الإمام الجرجاني (ت ٨١٦هـ) هؤلاء بقوله :

" أهل الأهواء : أهل القبلة الذين لا يكون معتقدهم معتقد أهل السنة، وهم : الجبرية والقدرية والروافض والخوارج والمعطلة والمشبهة ، وكل منهم اثنا عشرة فرقة ، فصاروا اثنتين وسبعين " [3]

وقد وردت كلمة (الأهواء) في بعض الأحاديث :

---

[1] انظر : جامع العلوم والحكم ص ٢٦٨ .

[2] كشف الكربة ص ٣٢٠.

[3] التعريفات ص ٣٣ – ٣٤ .

ومن ذلك حديث : «.. وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِى أُمَّتِى أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لاَ يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلاَ مَفْصِلٌ إِلاَّ دَخَلَهُ» [1]

أي : يَتواقَعُون في الأهواء الفاسدة ويَتَداعَوْن فيها تَشْبِيها بِجَرْي الفَرس.[2]

---

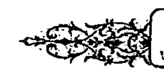
[1] رواه : أحمد في مسنده : من حديث معاوية ، رقم (١٦٩٧٩) ، ١٠٢/٤ ، واللفظ له .

وأبوداود في سننه : كتاب السنة ، باب شَرْحِ السُّنَّةِ ،(٤٤١) .

والحاكم في المستدرك على الصحيحين : كتاب العلم ، فصل في توقير العالم ، رقم (٤٤٣) ١ / ٢١٨ ، وقال :

(هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث) وأقره الذهبي على ذلك في التلخيص ، وقال المناوي : (إسناد أحمد صحيح) وقال الحافظ ابن كثير : (وقد ورد هذا الحديث من طرق) [تفسير القرءن العظيم ٣٦٨/١ ، المكتبة القيمة – القاهرة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م]

[2] معنى يتجاري : يدخل ويسري . والكَلَبُ بالتحريك : داء معروف يعْرض للكَلْب فَمن عَضَّه قَتَله [لسان العرب ١٤ /١٣٩ (مادة : جرا) . والنهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ١ /٧٣٩ تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، الناشر : المكتبة العلمية –بيروت ،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م]



والأهواء واحدها هوًى :

وهو ميل النفس إلى الشهوة ، قيل : سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية ، وفي الآخرة إلى الهاوية ، والهَوِيّ – بفتح الهاء – سقوط من علو إلى سُفل ..[1]

وقد عظم الله تعالى ذم اتباع الهوى ، فقال تعالى :

{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ}[القصص : ٥٠]

وقال :{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ}[الجاثية : ٢٣]

وعليه : فمن العلامات التي يعرف بها أهل البدع : اتباع الهوى .

يقول الإمام الشاطبي :" إن الشرع قد دل على أن الهوى هو المتبع الأول في البدع ، وهو المقصود السابق في حقهم ، ودليل الشرع كالتبع في حقهم ، ولذلك تجدهم يتأولون كل دليل خالف هواهم ، ويتبعون كل شبهة وافقت أغراضهم ." [2]

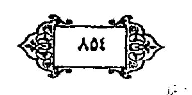
وهم يقدمون هواهم على الكتاب والسنة اغتراراً بقدرة العقل المجرد على معرفة الحق .

وفي هذا يقول الإمام الشاطبي :" إن عامة المبتدعة قائلة بالتحسين والتقبيح ، فهو عمدتهم الأولى ، وقاعدتهم التي يبنون عليها الشرع ،

---

[1] المفردات ، للراغب ص ٥٤٨ (مادة : هوى) . وانظر : لسان العرب ١٥ / ٣٧١ نفس المادة

[2] الاعتصام ١/ ٢٤٧.



فهو المقدم في نحلهم بحيث لا يتهمون العقل ، وقد يتهمون الأدلة إذا لم توافقهم في الظاهر حتى يردوا كثيرا من الأدلة الشرعية.

وقد علمت ــ أيها الناظر ــ أنه ليس كل ما يقضي به العقل يكون حقاً، ولذلك تراهم يرتضون اليوم مذهباً ويرجعون عنه غداً ، ثم يصيرون بعد غد إلى رأي ثالث ، ولو كان كل ما يقضي به حقا لكفى في إصلاح معاش الخلق ومعادهم ، ولم يكن لبعثة الرسل عليهم السلام فائدة ، ولكان على هذا الأصل تعد الرسالة عبثاً لا معنى له ، وهو كله باطل فما أدى إليه مثله " [1]

هذا : ويتفرع عن العلامة السابقة (اتباع الهوي) علامة أخرى يعرف بها أهل الأهواء ، ألا وهي : اتباع المتشابه .[2]

---

[1] الاعتصام ١ /٢٤٩ - ٢٥٠. ويذكر ابن قتيبة أن أهل الأهواء قد ردوا الأصول التي اتفق عليها أهل السنة ، تبعا لاستحسانهم ، واختلاف عقولهم .. [انظر : تأويل مختلف الحديث ص ١٥]

[2] المتشابه هو : ما أشكل معناه ولم يتبين مغزاه ، وهو نوعان : متشابه حقيقي ، كالمجمل من الألفاظ وما يظهر من التشبيه .

ومتشابه إضافي ، وهو ما يحتاج في بيان معناه الحقيقي إلى دليل خارجي ، وإن كان في نفسه ظاهر المعنى لبادئ الرأي ، وذلك كاستشهاد الخوارج على إبطال التحكيم بقوله تعالى :{إن الحكم إلا لله } فإن ظاهر الآية صحيح على الجملة ، وأما على التفصيل فمحتاج إلى بيان أن الحكم لله تارة يكون بغير تحكيم ، وتارة بتحكيم ؛ لأنه إذا أمرنا بالتحكيم فالحكم به حكم الله تعالى [الاعتصام ٣/ ١٧١بتصرف ،تحقيق د. هشام الصيني] ويذكر أستاذنا الدكتور عبدالعزيز سيف النصر أن الفرق الإسلامية بصفة عامة تكاد تتفق على (أن المحكم ما كانت دلالته على معناه ظاهرة واضحة ، وأن المتشابه ما كانت دلالته على معناه خفية غامضة) لكنهم يفترقون – بعد =

ألا ترى إلى قوله تعالى :

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ}[آل عمران : ٧]

فأثبت لهم الزيغ أولا وهو : الميل عن الصواب ، ثم اتباع المتشابه وهو خلاف المحكم الواضح المعنى ، الذي هو أم الكتاب ومعظمه ، ومتشابهه على هذا قليل ، فتركوا اتباع المعظم إلى اتباع الأقل المتشابه ، الذي لا يعطي مفهوماً واضحاً ، ابتغاء تأويله وطلباً لمعناه الذي لا يعلمه إلا الله، أو يعلمه الله والراسخون في العلم ، وليس ذلك إلا برده إلى المحكم ، ولم يفعل المبتدعة ذلك .[1]

كالخوارج الذين تتبعوا المتشابه من القرآن ، فتأولوه على غير تأويله ، من غير معرفة منهم بمعناه ، ولا رسوخ في العلم ، ولا اتباع للسنة ، ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن الكريم .[2]

فهم مثلا : قد تمسكوا في إبطال التحكيم بقوله تعالى : { إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ}[الأنعام : ٥٧ . يوسف : ٤٠ ،٦٧] وتركوا قوله : { يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا

هذا الاتفاق – عند التطبيق .. [انظر كتابه : مسائل العقيدة الإسلامية بين التفويض والإثبات والتأويل ص ٧٧ ، الناشر مكتبة الإيمان – القاهرة ،ط١ ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م]

[1] الاعتصام ٢٤٨/١ بتصرف يسير . وراجع : ما كتبه ابن قتيبه في كتابه (تأويل مختلف الحديث) فكله يدور حول هذا الموضوع .

[2] مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، ١٣ / ٢١٠ بتصرف .

عَدْلٍ}[المائدة : ٩٥]وقوله :{ فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا}[النساء : ٣٥]..

فأدى بهم اتباع المتشابهات إلى مفارقة جماعة المسلمين واستحلال دمائهم .. ؛ ولذلك قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-«إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[1]

وَمِنْ ثَمَّ أَنْكَرَ عُمَر – رَضِيَ اللَّه عَنْهُ – عَلَى صَبِيغ بْن عُسَيْل لَمَّا رَآهُ يَتْبَع الْمُتَشَابِه وَعَاقَبَهُ .[2]

هذا : ويتفرع من علامتي (اتباع الهوى و تحكيم العقل) علامة أخرى لأهل الأهواء والبدع ، هي : ردهم للأحاديث :

التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم ، ويدعون أنها مخالفة للمعقول ، وغيرجارية على مقتضى الدليل ، فيجب ردها ، كما فعل

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب العلم ، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه ، برقم (٦٩٤٦) عن عائشة -رضي الله عنها – .

وابن حبان في صحيحه : كتاب العلم ، باب ذكر الزجر عن تتبع المتشابه من القرآن للمرء المسلم ، برقم (٧٣) بلفظه ، وفي باب ذكر الزجر عن مجادلة الناس في كتاب الله ، برقم (٧٦) بلفظ « إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله ، فاحذروهم ».

[2] انظر : شرح النووي على مسلم ، ١٦ / ٢٠٥ ، الناشر مكتبة الصفا – القاهرة، ط١ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر ، ١ /٢٣٨ ، الناشر المكتبة السلفية – القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ .

المنكرون لعذاب القبر ، والصراط ، والميزان ، ورؤية الله عز و جل في الآخرة ، ونحو ذلك .

فقدحوا في الرواة من الصحابة والتابعين – رضي الله تعالى عنهم – وحاشاهم ، وفيمن اتفق الأئمة من المحدثين على عدالتهم وإمامتهم ، كل ذلك ليردوا به على من خالفهم في المذهب ، وربما ردوا فتاويهم وقبحوها في أسماع العامة ؛ لينفروا الأمة عن اتباع السنة وأهلها.[1]

وممن وقع في مثل هذا :

(أ) الخوارج ، حيث رفضوا اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن الكريم ، كالرجم ونصاب السرقة ، وغير ذلك [2]

(ب) والشيعة ، الذين غلوا في أئمتهم ، وجعلوهم معصومين في كل شئ، وأوجبوا الرجوع إليهم في جميع ما جاءت به الرسل ، فلا يعرجون لا على القرآن ولا على السنة ، بل على قول من ظنوه معصوماً ..[3]

وأما الكلمة الثالثة من المصطلح – محل البحث – وهي (الجماعة) :

فتعني في اللغة :

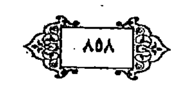
عدد كل شيءٍ وكثْرَته ، تقول : جِماعُ الخِباء الأَخْبِيةُ ؛ لأَنَّ الجِماعَ ما جَمَع عدَداً .

---

[1] الاعتصام ٢/ ٣٣ بتصرف تحقيق د.سعد آل حميد .

[2] انظر : مجموع الفتاوى ١٣ / ٢٠٨ .

[3] المصدر السابق ١٣ / ٢٠٨ – ٢٠٩ بتصرف .



وهي كالجَمْع والجميع ، مصدر قولك جمعت الشيء ، يقال : جَمَعَ الشيءَ عن تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً وجَمَّعَه وأَجْمَعَه فاجتَمع ، أي ضمه بتقريب بعضه من بعض ، وضده التفرق .

ومن ثم تستعمل هذه المادة ومشتقاتها لتأكيد الاجتماع على الأمر ، يقال: أجمع المسلمون على كذا : أي اجتمعت آراؤهم عليه .

ومنه : اسمه تعالى (الجامعُ) وهو الذي يَجْمع الخلائق ليوم الحِساب

وفي التنزيل : { وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ }[النور :٦٢] أي أمر له خطر يجتمع لأجله الناس .[١]

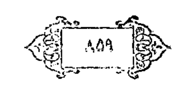
هذا ، وقد وردت الآيات المتعددة: التي تأمر المسلمين بالجماعة وتنهاهم عن الفرقة :

ومنها قوله تعالى : {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا } [آل عمران : ١٠٣].

وبهذا ، وردت الأحاديث المتعددة أيضاً :

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ إِلاَّ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» [١].

[١] انظر : لسان العرب ، ٨ / ٥٣ (مادة : جمع) . والمفردات للراغب ص ٩٦ – ٩٧ (نفس المادة)



وقوله : « عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ » [2]

وقوله :« .. وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّـةً - يَعْنِـى الأَهْوَاءَ - كُلُّهَا فِى النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً وَهِىَ الْجَمَاعَةُ ».[3]

فما المراد بالجماعة في هذه الأحاديث ؟

اختلف العلماء في معنى (الجماعة)على عدة أقوال :

١- فمنهم من يرى : أنها السواد الأعظم مـن المسـلمين (أي الأكثرية) :

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الأحكام ، باب باب السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً ، برقم (٧١٤٣) عن ابن عباس - رضـي الله عنهمـا ، وقـال : "الْجَمَاعَةِ ..هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ".

وأخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الإمارة ، باب الأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَتَحْذِيرِ الدُّعَاةِ إِلَى الْكُفْرِ، برقم (٤٨٩٦) وغيرهما .

[2] أخرجه الترمذي في سننه : كتاب الفتن ، باب باب مَا جَاءَ فِى لُزُومِ الْجَمَاعَـةِ ، برقم (٢٣١٨) عن ابن عمر - رضي الله عنهما ، وقال : حسن صحيح غريب .وقال أيضاً : " وَتَفْسِيرُ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ هُمْ أَهْلُ الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ وَالْحَدِيثِ."

[3] أخرجه أحمد في مسنده : من حـديث معاويـة ، رقـم (١٦٩٧٩) ، ١٠٢/٤ ، واللفظ له .

وأبو داود في سننه : كتاب السنة ، باب شَرْحِ السُّنَّةِ ، رقم (٤٤١) .

والحاكم في المستدرك على الصحيحين : كتاب العلم ، فصل في تـوقير العـالم ، رقم (٤٤٣) ١/ ٢١٨ ، وقال : (هذه أسانيد تقام بها الحجة فـي تصـحيح هـذا الحديث) وأقره الذهبي على ذلك في التلخيص . وقال المناوي : (إسناد أحمد صحيح) ..

وهذا يشمل : مجتهدي الأمة وعلماءها وأهل الشريعة العاملين بها ، والعوام التابعين لهم والمقتدين بهم .

وعليه : فالسواد الأعظم هم الناجون من الفرق ، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق ، ومن خالفهم وخرج عن جماعتهم مات ميتة جاهلية ، سواء خالفهم في شيء من الشريعة ، أو في إمامهم وسلطانهم فهو مخالف للحق ، كالخوارج الذين اتبعوا أهواءهم ، فرجحوا المتشابه على المحكم ، وناصبوا بالخلاف السواد الأعظم .

وممن قال بهذا الرأي : أبو مسعود الأنصاري وابن مسعود وأبوأمامة الباهلي وغيرهم – رضي الله عنهم .[١]

ومما يدل على هذا الرأي : حديث « إِنَّ أُمَّتِي لَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلَالَةٍ فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ ».[٢]

---

[١] انظر : الاعتصام ، للشاطبي ٣/٢١٠. و فتح الباري،لابن حجر،١٣ /٤٠-٤١.

[٢] رواه : ابن ماجة في سننه : كتاب الفتن ،باب السواد الأعظم ، رقم (٤٠٨٥) عن أنس بن مالك ، مرفوعاً ، واللفظ له .

ورواه الحاكم في مستدركه : كتاب العلم ، رقم (٣٩١) ، ١/ ٢٠٠ ، عن ابن عمر ، مرفوعاً ، بلفظ (يد الله على الجماعة ، فاتبعوا السواد الأعظم ، فإنه من شذ شذ في النار) ، وقال : فقد استقر الخلاف في إسناد هذا الحديث على المعتمر بن سليمان وهو أحد أئمة الحديث و قد روي عنه هذا الحديث بأسانيد يصح بمثلها الحديث فلا بد من أن يكون له أصل بأحد هذه الأسانيد ، ثم وجدنا للحديث شواهد من غير حديث المعتمر .وأقره الحاكم على ذلك في التلخيص .

=

يقول الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي - معلقاً على هذا الحديث - : " (السواد الأعظم) أي الجماعة الكثيرة . فإن اتفاقهم أقرب إلى الإجماع . قال السيوطي - في تفسير السواد الأعظم - : (أي جماعة الناس ومعظمهم الذين يجتمعون على سلوك المنهج المستقيم).

والحديث يدل على أنه ينبغي العمل بقول الجمهور ." [1]

ويقول الإمام النجم الغزي (المتوفى : ١٠٦١هـ) : إن " طريق أهل السنة والجماعة : ما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الكرام ، وهو ما دل عليه السواد الأعظم من المسلمين في كل زمان ، وهم الجماعة " [2]

فمن علامات أهل الأهواء إذن : مفارقة السواد الأعظم وعداوتهم.

ورواه الطبراني في معجمه الأوسط : رقم (٧٢٠٢) ، ٧/ ١٧٥ [الناشر دار الحرمين القاهرة ١٤١٥هـ ، تحقيق طارق عوض الله وآخر] ، عن أبي أمامة الباهلي ، مرفوعا ، بلفظ (كلها في النار إلا السواد الأعظم) ورواه أيضاً في معجمه الأكبر : رقم (٨٠٣٥) ، ٨ / ٢٦٨ ، [الناشر مكتبة العلوم والحكم - الموصل ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣ م]عنه ، به . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : [رقم (١٢٠٩٦) ، ٧/ ٥١٢ ، الناشر دار الفكر - بيروت ١٤١٢هـ] (وفيه أبو غالب ، وثقه ابن معين وغيره ، وبقية رجال الأوسط ثقات ، وكذلك .. إسناد .. الكبير) .

ورواه أحمد في مسنده : من حديث النعمان بن بشير ، موقوفاً على أبي أمامة ، برقم (٧٤٥٧ ، و ٧٦٢١)

[1] من تعليقات الشيخ على : سنن ابن ماجه ، ٢/ ١٣٠٣ ، تعليق رقم (٣٩٥٠) الناشر دار الفكر - بيروت ، بتحقيقه .

[2] نقلا عن : شرح العقيدة الطحاوية ، لعبدالغني الميداني ، ص ٣٠، إخراج كامل الحسيني ، الناشر دار البصائر - القاهرة ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

ومنها أيضاً : التفرق والتباغض وتكفير بعضهم بعضاً .

يقول الشاطبي : " قال بعض العلماء : صاروا فرقاً لاتباع أهوائهم ، وبمفارقة الدين تشتت أهواؤهم فافترقوا ، وهو قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا)[الأنعام :١٥٩] ثم برأه الله منهم بقوله : (لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) وهم أصحاب البدع وأصحاب الضلالات ، والكلام فيما لم يأذن الله فيه ولا رسوله .

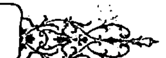
قال : ووجدنا أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من بعده قد اختلفوا في أحكام الدين ولم يتفرقوا ، ولا صاروا شيعاً ... (بل) كانوا مع هذا أهل مودة وتناصح ، وأخوة الإسلام فيما بينهم قائمة ، فلما حدثت الأهواء المردية ، التي حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظهرت العداوات وتحزب أهلها فصاروا شيعاً ، دل على أنه إنما حدث ذلك من المسائل المحدثة التي ألقاها الشيطان على أفواه أوليائه .

قال : كل مسألة حدثت في الإسلام واختلف الناس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة ، علمنا أنها من مسائل الإسلام . وكل مسألة حدثت وطرأت فأوجبت العداوة والبغضاء والتدابر والقطيعة ، علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء .

وهذه الخاصية .. موجودة في كل فرقة من الفرق "[١]

---

[١] الاعتصام ٣/ ١٦٨ .



روي عن أبي حنيفة أنه قال : " لقيت عطاء بن أبي رباح بمكة فسألته عن شيء فقال : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ، قال : أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً؟

قلت : نعم ، قال : من أي الأصناف أنت ؟ قلت : ممن لا يسب السلف ، ويؤمن بالقدر ، ولا يكفر أحداً بذنب ، فقال عطاء : عرفت فالزم ." [1]

وعليه : فأهل السنة والجماعة لا يسبون السلف [2] ، ويؤمنون بالقدر ، ولا يكفرون أحداً بذنب.

هذا ، ويتفرع عن العلامة السابقة أخرى : هي استحلال السيف :

روي عن أبي قلابة أنه قال : (ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف).

وكان أيوب يسمي أصحاب البدع خوارج ، ويقول : (إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف) . [3]

---

[1] نفس المصدر ١/ ٨٧ – ٨٨ .

[2] يذكر ابن تيمية أن الطَّوَائِفُ الْمَشْهُورَةُ بِالْبِدْعَةِ كَالْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ لَا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ ، بَلْ هَؤُلَاءِ يُكَفِّرُونَ جُمْهُورَ السَّلَفِ. فَالرَّافِضَةُ تَطْعَنُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَامَّةِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَائِرِ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ.. وَكَذَلِكَ الْخَوَارِجُ قَدْ كَفَّرُوا عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَجُمْهُورَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ .. وَالْمُعْتَزِلَةُ أَيْضًا تُفَسِّقُ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ طَوَائِفَ وَتَطْعَنُ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ وَفِيمَا رَوَوْهُ مِنْ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تُخَالِفُ آرَاءَهُمْ وَأَهْوَاءَهُمْ بَلْ تُكَفِّرُ أَيْضًا مَنْ يُخَالِفُ أُصُولَهُمْ الَّتِي انْتَحَلُوهَا مِنْ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ .. وَلَيْسَ انْتِحَالُ مَذْهَبِ السَّلَفِ مِنْ شَعَائِرِهِمْ .[مجموع الفتاوى ٤ /١٥٣– ١٥٤]

[3] الاعتصام ١/ ١٣٨ .

ويذكر الإمام الشاطبي أن من أشرب البدعة ناصب عليها بالدعوة المقترنة بالخروج عن الجماعة والسواد الأعظم ، وهي الخاصية التي ظهرت في الخوارج وسائر المبتدعة [١]

ومثّل الشاطبي لذلك بغلاة الحنابلة (الحشوية) :

الذين حضروا مجلس الأستاذ عبد الكريم القشيري (ت ٤٦٥هـ) ، بمدينة السلام ، وحضر فيه كافة الخلق ، فلما قرأ القارىء : {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) }[طه] قاموا، وأخذوا يقولون : (قاعد قاعد، بأرفع صوت وأبعده مدى) ، وثار إليهم أهل السنة من أصحاب القشيري ومن أهل الحضرة ، وتثاور الفئتان وغلبت العامة ، فاحجروهم إلى مدرسة النظامية وحصروهم فيها ورموهم بالنشاب ، فمات منهم قوم . [٢]

قال الشاطبي – معلقاً على هذه الواقعة – : " فهذا أيضاً ممن أشرب قلبه حب البدعة حتى أداه ذلك إلى القتل ، فكل من بلغ هذا المبلغ حقيق أن يوصف بالوصف (أهل الأهواء والبدع)" [٣]

فإن (بدعة الظاهرية) تجارت بهم حتى قالوا عند ذكر الآية : قاعد قاعد، وأعلنوا بذلك وتقاتلوا عليه .[٤]

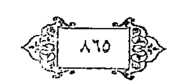
---

[١] انظر: نفس المصدر ٣/٢٢٧

[٢] حكاه ابن العربي في كتابه : العواصم من القواصم : انظر ص ٢٠٩ ، تحقيق د. عمار الطالبي ، الناشر مكتبة دار التراث – القاهرة ، ط١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧.
وقارن : الاعتصام ٣/ ٢٢٨.

[٣] الاعتصام ٣/٢٢٨.

[٤] نفسه ٣/ ٢٣٠ بتصرف .





كما مثّل لهم الشاطبي بالمعتزلة :

" الذين داخلوا الملوك فأدلوا إليهم بالحجة الواهية ، وصغروا في أنفسهم حملة السنة وحماة الملة ، حتى وقفوهم مواقف البلوى ، وأذاقوهم مرارة البأساة والضراء ، وانتهى بأقوام إلى القتل ، حسبما وقعت المحنة به زمان بشر المريسي في حضرة المأمون وابن أبي داؤد وغيرهما." [1]

وذكر ابن تيمية : أن الشيعة تختار استحلال دماء جماعة المسلمين، لكنهم عاجزون .. [2]

٢- ومن العلماء من يرى أن المراد بها : جماعة أئمة العلماء المجتهدين .

فمن خرج مما عليه علماء الأمة فهو من أهل الأهواء ؛ لأن جماعة الله العلماء ، جعلهم الله حجة على العالمين ، وعنهم تأخذ العامة دينها ، وإليها تفزع من النوازل ، وهي تبع لها ..

وممن قال بهذا عبد الله بن المبارك ، وإسحاق بن راهوية ، والبخاري ، والترمذي، وجماعة من السلف ، وهو رأي الأصوليين . [3]

---

[1] نفسه ٣/ ٢٣٨ - ٢٣٩. ويشير الشاطبي - بهذا الكلام - إلى محنة (خلق القرآن) التي امتحن فيها الإمام أحمد وأهل السنة .

[2] مجموع الفتاوى : ١٣ / ٢٠٩ بتصرف يسير .

[3] انظر : الاعتصام ٣/٢١١. وفتح الباري ١٣/ ٤٠.

وعلى هذا : فالابتداع إنما يقع من جهة الجهل بالشـــريعة ؛ لأن العالم الراسخ لا يبتدع ، وإنما يبتدع من ادعى لنفسه العلم ، وليس الأمر كذلك .

يقول الشاطبي : " إن كل راسخ لا يبتدع أبداً ، وإنما يقع الابتداع ممن لم يتمكن من العلم الذي ابتدع فيه ،حسبما دل عليه الحديث ويأتي تقريره..، فإنما يؤتى الناس من قبل جهالهم الذين يحسبون أنهم علماء ." [١]

والحديث الذي يشير إليه الشاطبي : هو قول النبـــي – صـــلى الله عليه وسلم – :« إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا ، يَنْتَزِعُهُ مِـــنَ الْعِبَـــادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا ، اتَّخَذَ النَّـــاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » [٢].

وهو ينبه – كما يرى الشاطبي – على أن أصل حدوث الفرق إنما هـــو الجهل بمواقع السنة .[٣]

٣– وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالجماعة : الصـــحابة علـــى الخصوص؛ لأنهم المتقلدون لكلام النبوة ، المهتدون للشـــريعة ، الـــذين

---

[١] الاعتصام ١/٢٥٠ – ٢٥١ وانظر : ٢/٢٣ . وانظر : ما حكاه ابن قتيبـــة مـــن الأمور التي تدل على (جهلهم وجرأتهم على الله تعالى بصـــرف الكتـــاب إلـــى مـــا يستحسنون ، وحمل التأويل على ما ينتحلون) [تأول مختلف الحديث ص ٦٩ ومـــا بعدها] .

[٢] رواه البخاري في صحيحه : كتاب العلم باب كيف يقبض العلم ، رقم (١٠٠) عن عبدالله بن عمرو .

ومسلم في صحيحه : كتاب العلم ، باب رفع العلم ، رقم (٦٩٧١) . وغيرهما .

[٣] الاعتصام ٣/ ٢٥٨ بتصرف ، وانظر ما بعدها .

فهموا أمر دين الله بالتلقي من نبيه مشافهةً ،على علم وبصيرة بمواطن التشريع وقرائن الأحوال ، بخلاف غيرهم.

فإذن كل ما سنوه فهو سنة من غير نظر فيه ، بخلاف غيرهم ، فإن فيه لأهل الاجتهاد مجالاً للنظر رداً وقبولاً .

وممن قال بهذا القول عمر بن عبد العزيز [1]..

وقد يحتج هذا الفريق برواية : « .. وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » [2]

---

[1] الاعتصام ٣/٢١٣ – ٢١٤ بتصرف . وانظر : فتح الباري ١٣/ ٤٠ – ٤١ .

[2] أخرجه الترمذي في سننه : كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، رقم (٨٥٣) عن عبدالله ابن عمرو ، واللفظ له ، وقال : حسن غريب .

والطبراني في المعجم الكبير ، رقم (٧٦٥٩) ٨/١٥٢ ، عن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة وأنس ، مطولاً.

وذكر الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : أن إسناد الترمذي جيد . [انظرهامش إحياء علوم الدين ٣/٢٢٥ ، (١) مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م]

وقال الفتني الهندي في تذكرة الموضوعات [١/ ١٥ ، الناشر المطبعة الميمنية، ١٣٤٢هـ] : حسن صحيح .

وقال الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح [١/٣٧ ، تحقيق الألباني ، الناشر المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م] : ضعيف . وكذلك قال الألباني في شرح العقيدة الطحاوية [له : انظر : ص ٢٨٨ ، الناشر المكتب الإسلامي – بيروت ط٢ ، ١٤١٤هـ] . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [١/١٥٦]: رواه الطبراني في الكبير وفيه كثير بن مروان وهو ضعيف جداً .

وذهب الإمام الطبري إلى أن المراد : جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير .

واحتج بقول النبي – صلى الله عليه وسلم – لحذيفة – لما سأله عن ما يراه إذا أدركه زمان الشر– :

(تَلْزَم جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامهمْ) [1] فأمر عليه الصلاة والسلام بلزومه ، ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم ، وذلك يكون في حالتين :

الأولى : النكير عليهم في طاعة أميرهم والطعن عليه في سيرته المرضية لغير موجب .

والأخرى : طلب إمارة من بعد انعقاد البيعة لأمير الجماعة ، فإنه نكث عهد ونقض عهد بعد وجوبه .[2]

جماع القول :

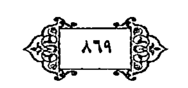
هذه أربعة أقوال في معنى الجماعة ، وهي – في نظري – غير متعارضة ، ولا متباعدة ، بل أراها متكاملة : إذ الصحابة – رضي الله عنهم – كانوا مثلاً وقدوة لمن بعدهم في التمسك بعقيدة الكتاب والسنة ، وكانوا

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ، رقم (٣٤١١) ، وفي : كتاب الفتن ، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ، رقم (٦٦٧٣) .

ومسلم في صحيحه : كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهولر الفتن ، رقم (١٨٤٧) .

[2] انظر : الاعتصام ٢١٥/٣. والفتح ١٣/ ٤١ .



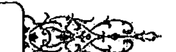
مجتمعين على إمام ، حتى خرج الخوارج وحدثت الفتن ، فأصبح اتباع السواد الأعظم (الأكثرية) المتبعين لهديهم واجباً ، والمفارق لهم خارجاً.

وبالطبع ، فإن المعتبر في السواد الأعظم : هم أهل العلم والاجتهاد ، والعوام تبع لهم .

وبعد : فهذا هو البيان التفصيلي : لمفهوم (أهل السنة والجماعة) ، ومفهوم المصطلح المقابل له (أهل الأهواء والبدع) ، وأهم العلامات التي يعرف بها كل منهما .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن ، هو : هل الأشعرية من ماصدقات الأول أم الآخر ؟

هذا ما سنجيب عن – بإذن الله تعالى – في المطلب التالي ، فإلى هناك :

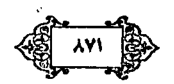


المطلب الثالث :

هل الأشعرية

من

(أهل السنة والجماعة ؟)



علينا – بعد أن تعرّفنا على معنى مصطلحي (أهل السنة والجماعة) و (أهل الأهواء والبدع) ، وذكرنا أهم العلامات التي يعرف بها كل منهما – أن ننظر في كتب الأشعرية وكلام أئمتهم ؛ لنرى هل هم من هؤلاء أم من أولئك ؟

ولنبدأ بالعلامة الأولى (التلقي من القرآن الكريم والسنة المطهرة) وعدم (اتباع الهوى وتحكيم العقول) فنقول :

إن أئمة الأشعرية لا يفتأون يأكدون في كتبهم على أنهم إنما يأخذون عقائدهم من الكتاب والسنة .

وحسبنا هنا أن نذكر بعض أقوالهم في ذلك :

١- فها هو ذا الإمام أبوالحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ) الذي ينسب إليه المذهب :

يذكر أن جميع أهل البدع من الجهمية والمرجئة والحرورية : قد ابتدعوا وخالفوا الكتاب والسنة ، وما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضى الله عنهم أجمعين – ، وأجمعت عليه الأمة . [1]

ثم يقول : " فإن قال لنا قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون .

---

[1] الإبانة عن أصول الديانة ، له ، ١٩/٢ بتصرف ، تحقيق د. فوقية حسين ، الناشر دار الأنصار – القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧ م.

قيل له : قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها : التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون "[1]

ويحكي الأشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين)[2] : جملة ما عليه أهل الحديث والسنة ، ومنه : الإقرار بما جاء من عند الله - أي في القرآن - وما رواه الثقات عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لايردون من ذلك شيئاً .

ثم يقول : " وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب ."[3]

ويذكر الإمام في رسالته (أصول أهل السنة والجماعة)[4] : أن الكتاب والسنة فيهما الغنية عما سواهما ؛ لحديث : « إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم »[5]

---

[1] نفس المصدر ٢/ ٢٠ . ويلاحظ أن كلمة (الرافضة) قد كتبت في المطبوع : الرافعة . وهو خطأ واضح ؛ بدليل تعريف المحقق لهم في الهامش (٢١) . وقارن: تبيين كذب المفتري ، لابن عساكر ، ص ١٢٥ ، ت الكوثري.

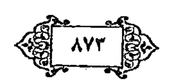
[2] انظر : ١/٣٤٥ ، وما بعدها .

[3] نفس المصدر ١/ ٣٥٠ .

[4] المسماة (رسالة إلى أهل الثغر) انظر ص ٦٠ - ٦٣ ، تحقيق د. محمد السيد الجليند ، سلسلة التراث السلفي (القسم الأول : نوادر المخطوطات) مطبعة التقدم ، بدون تاريخ .

[5] أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين : كتاب العلم ، رقم (٢٩٠) عن ابن عباس ، واللفظ له ، وقال : (وقد احتج البخاري

=



قلت : ومن ينظر في كتب الأشعري فسيجدها مشحونة بذكرالأدلة من الكتاب والسنة ، على عقائد الملة ، التي أجمع عليها سلف الأمـــة ، ثم الاحتجاج عليها ببراهين العقول ..

وهذا ما جعل كثيراً من الفقهاء والمحدثين من أهل السنة يعجبون به ويمسكون كتبه :

وفي هذا يقول أبو العباس المعروف بقاضي العسكر – وكان من كبـــراء أصحاب أبي حنيفة – :

" قد وجدت لأبي الحسن الأشعري – رضي الله عنه – كتباً كثيرة في هذا الفن (أصول الدين)

وهي قريبة من مائتي كتاب .. وقد أخذ عامة أصحاب الشافعي بما استقر عليه مذهب أبي الحسن الأشعري ، وصنف أصحاب الشافعي كتباً كثيـــرة

بأحاديث عكرمة واحتج مسلم بأبي أويس ، وسائر رواته متفق علـــيهم ، وهـــذا الحديث لخطبة النبي صلى الله عليه وسلم متفق على إخراجه في الصحيح .. وذكـــر الاعتصام بالسنة في هذه الخطبة غريب ويحتاج إليها ، وقد وجدت له شـــاهدا مـــن حديث أبي هريرة) فذكره .

ومسلم في صحيحه : كتاب الحج ، باب حجة النبي ، رقم (٣٠٠٩) عن جابر بن عبدالله ، بلفظ (وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ) .

وأحمد في المسند : من حديث أبي سعيد الخدري ، رقم (١١٥١٢) بلفظ (إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ وَعِتْرَتِي) .

على وفق ما ذهب إليه الأشعري .. (و) قد أمسك كتبه كثير من أصحابنا (الحنفية) من أهل السنة والجماعة ونظروا فيها ." [1]

ويقول الإمام أبوالقاسم عبدالكريم القشيري : " اتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري – رضي الله عنه – كان إماما من أئمة أصحاب الحديث ، ومذهبه مذهب أصحاب الحديث ، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة ، ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدعة ، وكان من المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين من الملة سيفاً مسلولاً ، ومن طعن فيه أو قدح أو لعنه أو سبه فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السنة " [2]

كذا قال لله دره ، وقد أقره على ذلك كبار الأئمة في عصره ، وبذلوا خطوطهم بذلك طائعين [3]

٢- وها هوذا الإمام الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) :

يحدثنا عن الأدلة التي يدرك بها الحق ، فيجعل أدلة الكتاب والسنة في المقدمة ، وأدلة العقول في المؤخرة ، لنقرأ :

" إن طرق المباين عن الأدلة التي يدرك بها الحق والباطل خمسة أوجه:

(١) كتاب الله عز وجل .

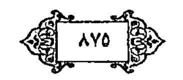
(٢) وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم .

---

[1] تبيين كذب المتري ص ١١٢ – ١١٣، ت الكوثري .

[2] نفس المصدر ص ٩٥ .

[3] انظر : نفس المصدر ص ٩٥- ٩٦ .



(٣) وإجماع الأمة .

(٤) وما استخرج من هذه النصوص وبني عليها بطريق القياس والاجتهاد .

(٥) وحجج العقول ." [١]

وقد صنف الإمام الباقلاني المصنفات الكثيرة المنتشرة ، في تثبيت عقيدة السلف المأخوذة من الكتاب والسنة، والرد على المخالفين من أهل الأهواء والبدع ، وناظرهم .. [٢]

٣- وها هو ذا الحافظ الكبير الإمام البيهقي (ت ٤٥٨هـ) :

يذكر أنه حين كثر أهل الأهواء والبدعة في هذه الأمة ، وتركوا ظاهر الكتاب والسنة ، وأنكروا ما ورد به من صفات الله – عزوجل – نحو : الحياة والقدرة والعلم والمشيئة والسمع والبصر والكلام ، وجحدوا مادل عليه من المعراج وعذاب القبر والميزان ، وأن الجنة والنار

---

[١] الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، له ، ص ١٩ – ٢٠ ، تحقيق زاهد الكوثري ، الناشر مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

[٢] تبين كذب المفتري ص ١٦٩ بتصرف ، ت الكوثري. وكان من بركات مناظرات الرجل ومؤلفاته : " أن الانتساب إلى الإعتزال كان فاشيا منتشراً ، وكل من كان متسنناً كان متخفيا مستتراً ، إلى أن قام القاضي أبو بكر بنصرة المذهب وانتشر عنه في المشرق والمغرب ، وكان يظهره في دار السلام التي هي قبة الإسلام ، فلم يظهر لذاك تغيير من الإمام ، ولا نكير من السوقة العوام ، بل كان الكل يتقلدون منه الملة من العوام والأئمة ، ويلقبونه بأجمعهم سيف السنة لسان الأمة " [تبيين ٣٠١- ٣٠٢] أيجوز ، بعد هذا ، أن يقال : إنه أشعري ، وليس من أهل السنة؟!!

مخلوقتان ، وأن أهل الإيمان يخرجون من النيران ، وما لنبينا – صلى الله عليه و سلم – من الحوض والشفاعة ، وما لأهل الجنة من الرؤية ، وأن الخلفاء الأربعة كانوا محقين فيما قاموا به من الولاية .

وزعموا أن شيئا من ذلك لا يستقيم على العقل ، ولا يصح في الرأي :

أخرج الله عزوجل من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – إماماً قام بنصرة دين الله ، وجاهد بلسانه وبيانه من صد عن سبيل الله ، وزاد في التبيين لأهل اليقين ، أن ما جاء به الكتاب والسنة ، وماكان عليه سلف هذه الأمة مستقيم على العقول الصحيحة والآراء .[١]

وعليه : فالأشعري – في رأي البيهقي – خلف حق لسلف صدق، أحيا الله به السنة وأمات به البدعة .[٢] وكذلك كان أصحابه من بعده .[٣]

بهذه الكلمات القليلة الواضحة : يلخص إمام الرواية والدراية البيهقي عقيدة الأشعرية ، ويعتقدها ؛ لكونها سنية سلفية ، هدمت أركان العقائد البدعية ، وفضحتها أمام الأمة الإسلامية.

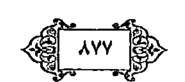
٤- وها هو ذا حجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) :

---

١ رسالة البيهقي إلى الشيخ العميد في فضائل أبي الحسن الأشعري : نقلاً عن تبيين كذب المفتري ٨٩ بتصرف ،ت الكوثري.

٢ نفسه : عن تبيين ص ٨٩ بتصرف يسير .

٣ انظر : نفس المصدر ص ٩٠ .



يحدثنا عن ترتيب الأدلة لدى علماء التوحيد ، فيذكر أنهم يقدمون أدلة الكتاب والسنة على حجج العقول ، إذ يقول " وأهل النظر في هذا العلم يتمسكون :

أولاً: بآيات الله تعالى من القرآن .

ثم ب : أخبار الرسول – صلى الله عليه وسلم .

ثم ب : الدلائل العقلية والبراهين القياسية . " [1]

ويهاجم الغزالي الفلاسفة وغلاة المعتزلة الذين اعتمدوا على مجرد العقل حتى صادموا به قواطع الشرع ، ويتساءل مستغرباً : كيف يفزع إلى العقل من حيث يعتريه العي والحصر ؟ أولا يعلم أن العقل قاصر ؟ وأن مجاله ضيق منحصر ؟ !! [2]

ويستبعد الغزالي الاهتداء للصواب لمن اقتفى محض العقل واقتصر ، وما استضاء بنور الشرع ولا استبصر ، هيهات قد خاب على القطع والبتات ، وتعثر بأذيال الضلالات .[3]

٥- وها هو إمام المحدثين في وقته الإمام ابن عساكر (ت٥٧١هـ):

---

[1] الرسالة اللدنية ، له ، نشرت ضمن القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي ١٠٦/١ – ١٠٧ ، تحقيق محمد مصطفى أبوالعلا ، الناشر مكتبة الجندي – القاهرة

[2] الاقتصاد في الاعتقاد ص ٣ بتصرف .

[3] نفس المصدر والصفحة بتصرف .

يقول – صراحة – : إن الأشعرية " هم المتمسكون بالكتاب والسنة ، التاركون للأسباب الجالبة للفتنة " [1]

ويستغرب هذا الإمام الكبير ، بشدة ، اتهام الأشعري أو أصحابه بترك الكتاب والأثر وركوب القياس والخطر : فيقول : إن هذا " كذب .. وزور ، ودعوى باطلة وغرور ، هل تمسكهم إلا بالكتاب المبين ، وهل تعلقهم إلا بالحديث المتين ؟ !! " [2]

وينشد الحافظ – مع من أنشد من العلماء – :

واعلم بأن الأشعري	**يّ عدو أصحاب البدع**
فهو المجيد الذب عن	**سنن الرسول وما شرع**
لكنه نصب الدليـ	**ـل لمن تسنن واتبع**
وأبان أن العقل لا	**ينفي الصواب المتبع**
من آية أو سنة	**كان الرسول بها صدع**

وأيضاً :

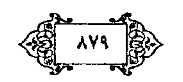
الأشعرية قوم	**قد وفقوا للصواب**
لم يخرجوا في اعتقاد	**عن سنة أو كتاب** [3]

---

[1] تبيين كذب المفتري ص ٢٩٢ – ٢٩٣ ، ت الكوثري.

[2] نفسه ص ٣٠١ .

[3] انظر : تبيين ص ١٣٤، ١٣٦ ، ت الكوثري.



وبعد : فهذا قليل من كثير من تصريحات أئمة الأشعرية بأن تمسكهم بالكتاب والسنة المحمدية ..

وقد أقر ابن تيمية بهذا ، فقال – وهو يعلق على قول الأشعري : (ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه و سلم – وإجماع المسلمين وما كان في معناه ولا نبتدع في دين الله بدعة)- :

" فهذا الكلام وأمثاله في كتبه وكتب أئمة أصحابه : يبينون أنهم يعتصمون في مسائل الأصول التي تنازع فيها الناس بالكتب والسنة والإجماع ، وأن دينهم التمسك بالكتاب والسنة وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ثم خصوا الإمام أحمد بالاتباع والموافقة ؛ لما أظهر من السنة ، بسبب ما وقع له من المحنة "[1]

أليس من الإجحاف – مع هذا – أن يقول الباحث : " مصدر التلقي عند الأشاعرة هو : العقل "[2] وأنهم " تلقوا واستمدوا من غير السنة ، ولم يوافقوها في النتائج "[3]

---

[1] درء تعارض العقل والنقل ٣/ ٣٤٤- ٣٤٥ .

[2] منهج الأشاعرة في العقيدة ص ١٧ . هذا ، ويعجب القارئ الكريم – كل العجب – حينما يجد الباحث يقول بعد ذلك مباشرة – في اضطراب واضح – : " وقد صرح الجويني والرازي والبغدادي والغزالي ... وسائر أئمتهم بتقديم العقل على النقل عند التعارض " [ص ١٧] و هذا معناه أن النقل عندهم مصدر، إلا أنه يؤخر في حالة التعارض ، فما هذا التناقض ؟

[3] نفس المصدر السابق ص ٩ .

ثانياً : موقف الأشعرية من المتشابهات :

عرفنا مما مضى أن أهل الأهواء والبدع ، الذين يتبعون أهواءهم، وينتحلون ما استحسنته عقولهم ، إنما يتبعون متشابهات القرآن ، ويعرضون عن محكماته ، ابتغاء فتنة العوام ومن لا يعلم ، بأن ما يرتؤونه هو الصواب الذي دل عليه القرآن ..

والأشعرية – كسائر أهل السنة سلفاً وخلفاً – يرون وجوب العمل بمحكمه ، والإيمان بنص متشابهه .[1]

وإن اختلفوا – كغيرهم – في إدراك علم تأويل الآيات المتشابهة :

فمنهم : من وقف على لفظ الجلالة في قوله تعالى : { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } ثم ابتدأ من قوله : { وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا}[آل عمران : ٧]

وعليه : فيرد " كل مالم يحط علما بتفسيره إلى الله ، مع الإيمان بنصه ، وأن ذلك لا يكون إلا فيما كلفوا الإيمان بجملته دون تفصيله "[2] كما يقول الإمام الأشعري .

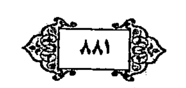
وهذا قول : " أكثر الأمة "[3] بتعبير الإمام عبدالقاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) .

---

[1] انظر : أصول أهل السنة والجماعة ، المسماة برسالة أهل الثغر ، للأشعري ، ص ٩٨ ، ت الجليند.

[2] نفس المصدر ص ٩٨ .

[3] أصول الدين ، للبغدادي ، ص ٢٢٢ ، طبعة استانبول ، مطبعة الدولة ، ط١ ، ١٣٤٦هـ – ١٩٢٨م.



وهو ما صرح به الإمام الحافظ أبوسليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ) في حكايته مذهب السلف -رضي الله عنهم - حيث قال في كتابه (معالم السنن) :

" فالمحكم منه يقع به العلم الحقيقي والعمل ، والمتشابه يقع به الإيمان والعلم الظاهر ، ويوكل باطنه إلى الله عز وجل ، وهو معنى قوله : {وما يعلم تأويله إلا الله} وإنما حظ الراسخين أن يقولوا آمنا به كل من عند ربنا ." [١]

وقد مثّل الخطابي للمتشابه الذي أمرنا أن نؤمن بظاهره ، وأن لا نكشف عن باطنه ، بآيات الإتيان ، والمجيئ ، وحديث النزول ، ونحوها ، مما أضيف إلى رب العالمين ، ثم قال :

" والقول في جميع ذلك عند علماء السلف هو ما قلناه ، وروي مثل ذلك عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ." [٢]

ومنهم : من يقف على قوله : { وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} قائلاً : " لابد من أن يكون في كل عصر من العلماء من يعلم تأويل ما تشابه من القرآن"[٣].

---

[١] الأسماء والصفات ، للبيهقي ، ٤١٩، تقديم وتعليق زاهد الكوثري ، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة ، ط١ ، بدون تاريخ.

[٢] نفس المصدرالسابق والصفحة . وقد أشار الخطابي إلى أن بعض شيوخ الحديث ، قد زل وحاد عن طريقة السلف الصالح ، فحمل تلك المتشابهات على ظاهرها الحسي ..[انظر : نفسه ص ٤١٩ – ٤٢٠] .

[٣] أصول الدين ص ٢٢٣ .

ثالثا : الأشعرية والوسطية :

ذكرنا أن أهل البدع قد زاغوا عن الحق ؛ لاتباعهم أهواءهم ، فوقعوا إما في إفراط أو في تفريط ، لذلك رأيناهم :

١- في قضية النقل والعقل : قد مالوا إلى أحد الطرفين وأهملوا الآخر .

٢- وفي قضية صفات الله : منهم من غلا في التنزيه حتى وقع في التعطيل، فلا يصف الله إلا بصفات سلبية ، فأضحت (الألوهية) عنده مجرد فكرة ذهنية .

ومنهم من بالغ في الاثبات حتى وقع في التشبيه والتجسيم ..

٣- وفي قضية الأفعال الإنسانية : منهم من قال بالجبر ومنهم من نفى القدر..

٤- وفي قضية حقيقة الإيمان : منهم جعل العمل ركناً منه ركيناً ، يكفر تاركه ..

ومنهم من جعله خارجاً عنه ، ونفى كل صلة له به ، فلا يضر مع الإيمان معصية .

٥- وفي قضية الصحابة - رضي الله عنهم - : منهم من غلا في بعضهم فقال بإلهية أو نبوة أو عصمة ، ومنهم من جفي فيهم فكفر بعضهم أو فسقه ..

وفي هذا يقول ابن تيمية : " إن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة .. هم الوسط فى فرق الأمة كما أن الأمة هى الوسط فى الأمم.

فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة.

وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية .

وفي باب وعيد الله بين المرجئة (الذين يجحدون بعض الوعيد وما فضل الله به الأبرار على الفجار) والوعيدية من القدرية (الذين يقولون بتخليد عصاة المسلمين في النار) وغيرهم .

وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية .

وفي أصحاب رسول الله بين الروافض والخوارج . " [1]

فأين الأشعرية من هذه الوسطية ؟

يجيبنا المؤرخون عن هذا : فيذكر العلامة ابن خلدون (ت : ٨٠٨هـ) أن الشيخ الأشعري " قام .. فتوسط بين الطرق ، ونفى التشبيه ، وأثبت الصفات المعنوية ، وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف " [2]

---

[1] مجموع الفتاوى (العقيدة الواسطية) ٣ ، ١٤١ . وما بين القوسين مأخوذ من كتاب ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ص ٧٤ – ٧٥ ، تحقيق د. علي حسن ناصر و د. حمدان محمد ، الناشر دار العاصمة – الرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

[2] ديوان المبتدأ والخبر ، ١ / ٥٨٨ (المقدمة) تحقيق : خليل شحادة ، الناشر : دار الفكر – بيروت ، الطبع الثانية ، ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م

ويقول تقي الدين المقريزي (ت : ٨٤٥هـ) : " وحقيقة مذهب الأشعريّ: رحمه الله، أنه سلك طريقا بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال ، وبين الإثبات الذي هو مذهب أهل التجسيم "[1]

ويحدثنا حجة الإسلام الغزالي (المتوفى : ٥٠٥هـ)عن موقف الأشعرية من القضية الأولى (الموقف من العقل والنقل) فيقول :

إن " عصابة الحق وأهل السنة .. اطلعوا على طريق التلفيق بين مقتضيات الشرائع وموجبات العقول ؛ وتحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول ، وعرفوا أن من ظن من الحشوية وجوب الجمود على التقليد واتباع الظواهر ما أتوا به إلا من ضعف العقول وقلة البصائر ، وأن من تغلغل من الفلاسفة وغلاة المعتزلة في تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع ما أتوا به إلا من خبث الضمائر، فميل أولئك إلى التفريط وميل هؤلاء إلى الافراط ، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط ، بل الواجب المحتوم في قواعد الاعتقاد ملازمة .

الاقتصاد والاعتماد على الصراط المستقيم ؛ فكلا طرفي قصد الأمور ذميم." [2]

---

[1] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ٤/ ١٩٢ ، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ .

[2] الاقتصاد في الاعتقاد ، له ، ص ٣ ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ، ط الأخيرة .

ويشبه الغزالي العقل بالبصر السليم ، والكتاب والسنة بالشمس ذات الضياء العميم ، فالمعرض عن العقل مكتفياً بنور النقل كالمتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان ، فلا فرق بينه وبين العميان ، والمعرض عن النقل مكتفياً بنور العقل كالذي ينظر بعينه وسط الظلام الدامس ، فالعقل مع الشرع نور على نور[1].

وها هو ذا الحافظ الكبير ابن عساكر يؤكد وسطية الأشعرية في هذه القضية ، فيقول :

إنهم " لا يتركون التمسك بالقرآن والحجج الأثرية ، ولا يسلكون في المعقولات مسالك المعطلة القدرية ، لكنهم يجمعون في مسائل الأصول بين الأدلة السمعية وبراهين العقول .. فمذهبهم أوسط المذاهب ومشربهم أعزب المشارب . "[2]

وأما بقية القضايا العقدية فيحدثنا ابن عساكر – نقلاً عن الإمام أبي المعالي بن عبدالملك– عن وسطية الأشعري والأشعرية فيها ، فيذكر أن :

١– المعتزلة والجهمية والرافضة عطلوا وأبطلوا ، فقالوا : لا علم لله ولا قدرة ولا سمع ولا بصر ولا حياة ولا بقاء ولا إرادة . بينما قالت الحشوية والمجسمة والمكيفة المحددة : إن لله علما كالعلوم ، وقدرة كالقدر ، وسمعا كالأسماع ، وبصرا كالأبصار.

---

[1] انظر : نفس المصدر ص ٣ – ٤ .

[2] تبيين كذب المفتري ص ٢٩٣ ، ت الكوثري.

فسلك الأشعري - رضي الله عنه - طريقة بينهما ، فقال : إن لله - سبحانه وتعالى - علماً لا كالعلوم ، وقدرة لا كالقدر ، وسمعاً لا كالأسماع ، وبصراً لا كالأبصار .

٢- والجهم بن صفوان (ت ١٢٨هـ) قال : العبد لا يقدر على إحداث شيء، ولا على كسب شيء . وقالت المعتزلة : هو قادر على الإحداث والكسب معا .

فسلك الأشعري طريقة بينهما ، فقال : العبد لا يقدر على الإحداث ويقدر على الكسب ..

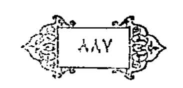
٣- و الحشوية المشبهة قالوا : إن الله -سبحانه وتعالى - يرى مكيفاً محدوداً كسائر المرئيات . وقالت المعتزلة والجهمية والنجارية : إنه سبحانه لا يرى بحال من الأحوال.

فسلك رضي الله عنه طريقة بينهما ، فقال : يُرى من غير حلول ولا حدود ولا تكييف ، كما يرانا هو سبحانه وتعالى وهو غير محدود ولا مكيف ، فكذلك نراه وهو غير محدود ولا مكيف.

٤- والنجارية زعمت أن الباري - سبحانه - بكل مكان من غير حلول ولا جهة .

وقالت المجسمة : إنه سبحانه حال في العرش ، وأن العرش مكان له وهو جالس عليه .

فسلك الأشعري طريقة بينهما ، فقال : كان ولا مكان ، فخلق العرش والكرسي ولم يحتج إلى مكان ، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه.



٥- والمعتزلة تقول : له يد يد قدرة ونعمة ، ووجهه وجه وجود .وقالت الحشوية : يده يد جارحة ، ووجهه وجه صورة .

فسلك الإمام طريقة بينهما ، فقال : يده يد صفة ، ووجهه وجه صفة كالسمع والبصر.[1]

٦- والمعتزلة قالت : النزول نزول بعض آياته وملائكته والإستواء بمعنى الإستيلاء .

وقالت المشبهة : النزول نزول ذاته بحركة وانتقال من مكان إلى مكان ، والإستواء جلوس على العرش وحلول فيه .

فسلك أبوالحسن طريقة بينهما ، فقال : النزول صفة من صفاته ، والإستواء صفة من صفاته ، وفعل فعله في العرش يسمى الاستواء .[2]

٧- والمعتزلة قالت : كلام الله مخلوق مخترع مبتدع. وقالت الحشوية المجسمة : الحروف المقطعة والأجسام التي يكتب عليها والألوان التي يكتب بها وما بين الدفتين كلها قديمة أزلية .

فسلك شيخنا طريقة بينهما ، فقال : القرآن كلام الله قديم غير مغير ولا مخلوق ولا حادث ولا مبتدع ، فأما الحروف المقطعة والأجسام

---

[1] القول بأن الوجه واليد صفات وليست أجزاء الذات هو صرف لهذه الألفاظ عن ظاهرها ؛ لأنه غير معهود ولا معروف في لغة العرب استعمال هذه الألفاظ على أنها صفات ، بل المعهود استعمالها في أنها أبعاض وأجزاء الذات ، فهو نوع تأويل . فتأمل .

[2] هذا صريح في أن الاستواء والإتيان والمجيئ والنزول : من صفات الأفعال ، وليست من صفات الذات.

والألوان والأصوات والمحدودات وكل ما في العالم من المكيفات مخلوق مبتدع مخترع .

٨- والمعتزلة والجهمية والنجارية ذهبوا إلى أن الإيمان مخلوق على الإطلاق .

وذهبت الحشوية إلى أنه قديم على الإطلاق .

فسلك الأشعري طريقة بينهما ، وقال : الإيمان إيمانان : إيمان لله ، فهو قديم ؛ لقوله : {الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ}[الحشر : ٢٣] ، وإيمان للخلق ، فهو مخلوق ؛ لأنه منهم يبدو وهم مثابون على إخلاصه معاقبون على شكه .

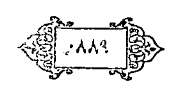
٩- والمرجئة ترى أن من أخلص لله - سبحانه وتعالى - مرة في إيمانه لا يكفر بارتداد ولا كفر ولا يكتب عليه كبيرة قط .

وترى المعتزلة أن صاحب الكبيرة مع إيمانه وطاعاته مائة سنة لا يخرج من النار قط .

فسلك الإمام طريقة بينهما ، وقال : المؤمن الفاسق هو في مشيئة الله تعالى ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة ، وإن شاء عاقبه بفسقه ثم أدخله الجنة ، فلا يخلد موحد في النار .

١٠-والرافضة أثبتت للرسول - صلى الله عليه وسلم - ولعلي - رضي الله عنه - شفاعة ، من غير أمر الله تعالى ولا إذنه ، حتى لو شفعا في الكفار قبلت .

وقالت المعتزلة والخوارج : لا شفاعة لهما بحال .



فسلك أبو الحسن – رضي الله عنه – طريقة بينهما ، فقال : بأن للرسول – صلوات الله عليه وسلامه – شفاعة مقبولة في المؤمنين المستحقين للعقوبة ، يشفع لهم بأمر الله تعالى وإذنه ، ولا يشفع إلا لمن ارتضى .

١١–وكفرت الخوارج عثمان وعلياً – رضي الله عنهما – .

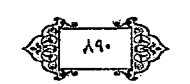
وقالت المعتزلة : إن معاوية وطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة وكل من تبعهم – رضي الله عنهم – على الخطأ ، ولو شهدوا كلهم بحبة واحدة لم تقبل شهادتهم .

وقالت الرافضة : إن هؤلاء كلهم كفار ، ارتدوا بعد إسلامهم ، وبعضهم لم يسلموا .

وقالت الأموية : لا يجوز الخطأ بحال .

فسلك رضي الله عنه طريقة بينهم ، فنص على موالاة عثمان وعلي – رضي الله عنهما – وتفضيل المقدم على المؤخر ، وقال : كل مجتهد مصيب ، وكلهم على الحق ، وإنهم لم يختلفوا في الأصول ، وإنما اختلفوا في الفروع ، فأدى اجتهاد كل واحد منهم إلى شيء ، فهو مصيب وله الأجر والثواب على ذلك .[1]

[1] تبيين كذب المفتري ص ١١٩ – ١٢١ بتصرف ، ت الكوثري.



فالأشعرية إذن رامت التوسط في أبواب العقيدة فوجدته ، وهي صاحبة الحق فيه ، وإن جادلها بعض خصومها في بعضها [1].

والأشعري وأصحابه – كما يقول الحافظ ابن عساكر – لم يسلكوا هذه الطرق المتوسطة شهوة وإرادة ، ولم يحدثوها بدعة واستحساناً ، ولكنهم أثبتوها بأدلة شرعية مسبورة ، وبراهين عقلية مخبورة .. [2]

رابعاً : الأشعرية والسواد الأعظم :

عرفنا مما تقدم أن (الجماعة) هم السواد الأعظم من علماء الأمة ، الذين يتبعهم العامة ، بعد حدوث الاختلاف والتفرق ..

فأين الأشعرية من هذه العلامة ؟

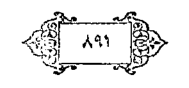
إن التاريخ والواقع يؤكدان أن معظم علماء الأمة – بعد عصر السلف – على المذهب الأشعري في العقيدة ، بلا مراء ، وأدنى إطلالة على كتب التراجم والطبقات والعلوم المختلة تظهر ذلك بجلاء .

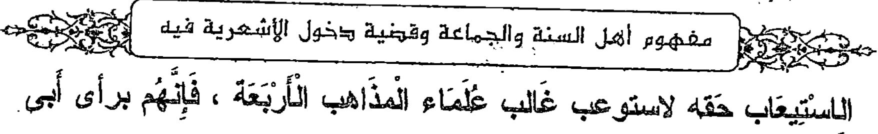
ولذلك تعجب التاج السبكي (ت: ٧٧١هـ) – صاحب طبقات الشافعية الكبري – من الْحَافِظ ابْن عَسَاكِر فِى عدَّة طوائف من أَتبَاع الشَّيْخ الأشعري ولَم يذكر إِلَّا نزرا يَسِيرا وعددا قَلِيلا ، قائلاً : " ولَو وفى

---

[1] يشكك البعض ، كابن رشد وابن تيمية ، في وسطية الأشعرية ، في باب الأفعال الإنسانية [انظر : مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ١٨٠ ، تحقيق محمد عبدالرحمن الشاغول ، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة ، ٢٠١٠م . والفرقان بين الحق والباطل ، لابن تيمية ، ص ١٦٢] وسنعرض لهذه المسألة بشئ من التفصيل في جزء لاحق ، بإذن الله تعالى .

[2] تبيين كذب المفتري ص ١٢١ بتصرف ، ت الكوثري.





الاسْتِيعَاب حَقه لاستوعب غَالب عُلَمَاء الْمذَاهب الْأَرْبَعَة ، فَإِنَّهُم برأى أبى الْحسن يدينون الله تَعَالَى " [1]

وأيده في ذلك والده الإمام التقي السبكي ، حيث قَالَ : " إِنَّمَا ذكر (أي ابن عساكر) من اشْتهر بالمناضلة عَن أبى الْحسن ، وَإِلَّا فَالْأَمْر على مَا ذكرت من أن غَالب عُلَمَاء الْمذَاهب مَعَه ، وَقد ذكر الشَّيْخ شيخ الْإِسْلَام عز الدّين بن عبد السَّلَام أَن عقيدته اجْتمع عَلَيْهَا الشَّافِعِيَّة والمالكية وَالْحَنَفِيَّة وفضلاء الْحَنَابِلَة ، وَوَافَقَهُ على ذَلِك من أهل عصره شيخ الْمَالِكِيَّة فِي زَمَانه أَبُو عَمْرو بن الْحَاجِب ، وَشَيخ الْحَنَفِيَّة جمال الدّين الحصيرى " [2]

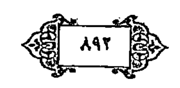
قلت : والإمام ابن عساكر نفسه قال بهذا ، في أكثر من موضع من تبيينه ، لنقرأ مثلاً : إن " أَكثر الْعلمَاء فِي جَمِيع الأقطار عَلَيْهِ وأئمة الْأَمْصَار فِي سَائِر الْأَعْصَار يدعونَ إِلَيْهِ .." [3]

وها هو ذا المورخ الكبير المقريزي ينص على : " اشتهار مذهب الأشعريّ وانتشاره في أمصار الإسلام ، بحيث نسي غيره من

[1] طبقات الشافعية الكبرى ٣ /٣٦٥ تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلوالناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية،١٤١٣هـ...

[2] نفس المصدر والصفحة .

[3] تبيين كذب المفتري ص ٣٠١ . وانظر أيضاً ص ١٢١ ، ٢٤٩ ، ٢٩٢ منه .



المذاهب، وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه، إلّا أن يكـون مـذهب الحنابلة " [١]

ويقول – بعد أن حكى جمله من أصول عقيدة الأشعري – : " فهـذه .. التي عليها الآن جماهير أهل الأمصار الإسلامية " [٢]

وهذا ما شهد به الشيخ مصطفى عبدالرازق (المتـوفى : ١٩٤٧م) وهو من أعلام العصر الحديث ، حيث قال : " ولعل الغلبة في بلاد الإسلام لا تزال إلى اليوم لمذهب الأشاعرة " [٣]

والإمام الشهرستاني – وهو من كبـار مـؤرخي الملـل والنحـل والمقالات – يذكر أن الأشعري لما أيد عقائد السلف بمناهج وحجج عقلية : " صار ذلك مذهبا لأهل السنة والجماعة " [٤] وهذا يعني كثـرة دخـول الناس في مذهبه ، حاملين هذا الاسم(أهل السنة)

وقد شهد بهذا الأمر علماء يختلفون مع الأشعرية ، مثل :

- الفيلسوف الكبير ابن رشد ، حيث قـال – وهـو يعـدد أشـهر الطوائف في زمانه – :

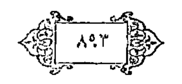
---

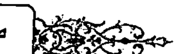
[١] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ٤/ ١٩٢ ، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ .

[٢] المواعظ والاعتبار ٤ / ١٩٥ .

[٣] التمهيد ص ٢٩٥ .

[٤] الملل والنحل ١ / ٩٣ .





" الأشعرية ، وهم الذين يرى أكثر الناس اليوم أنهم أهل السنة .. " [1]

هكذا قال ، وهو المعروف بخصومته للأشعرية ، (إن أكثر الناس) – علماء وعامة – يرون أنهم أصحاب هذا الاسم (أهل السنة) ، وهو كلام له دلالته البالغة ..

- وأبي الفضل السكسكي الحنبلي (ت ٦٣٨هـ) الذي يعترف – رغم هجومه على

الأشعرية – بأنهم لا يحصون من كثرتهم ، فيقول : " وأبوالحسن الأشعري وفرقته الأشعرية ينتسبون إليه ، وهم في وقتنا هذا كثير ، منشورون في البلدان ، أكثر من أن يحصوا ، يلبسون على العوام والجهال .. " [2]

فهذا واضح في أن : الأشعرية أكثرية ، يتبعهم العوام في شتى البلدان .

---

[1] مناهج الأدلة في عقائد الملة ، ص ٣٥ ، تحقيق : محمد عبدالرحمن الشاغول ، الناشر : المكتبة الأزهري للتراث – القاهرة ، ٢٠١٠م

وقد عقب المحقق على هذا النص لابن رشد بقوله : " فيه دلالة على أنهم السواد الأعظم الذي ورد فيه حديث (عليكم بالسواد الأعظم) أي فإنهم على الحق والصواب ، فكونوا على اعتقادهم ." [نفس الصفحة ، هامش ٢]

[2] البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، له ، ص ٣٧– ٣٨ ، تحقيق : د. بسام العموشي ، الناشر : مكتبة المنار – الأردن ، ط ١ ، ١٩٨٨م . وقد ذكر السكسكي في موضع آخر من كتابه هذا : أن الباطنية تسمي (أهل السنة والجماعة) " مسودة ؛ لكونها السواد الأعظم الذي لا يجوز إجماعهم على الخطأ " [ص ٩٥] فتأمل ..

هذا ، وقد استغرب محقق الكتاب ، بحق ، وهو باحث حنبلي معاصر، اتهام الأكثرية بالتلبيس ، فقال : " إذا كان الأكثر هم الأشاعرة وهم العوام فكيف يلبسون ؟ " [١]

- والامام ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ) الذي يشير في عدة مواضع من كتبه ، إلى انتشار المذهب الأشعري ، وهو يرجع ذلك إلى انتسابهم إلى السلف عموماً والإمام أحمد خصوصاً .

ومن ذلك مثلاً : إقراره بمقولة : " إنما نفقت الأشعرية عند الناس بانتسابهم إلى الحنابلة " [٢]

تأمل (نفقت عند الناس) وليس عند العلماء وحدهم ، مما يدل على اعتراف ابن تيمية بانتشار طريقة الأشعري بين العلماء والعامة على السواء ..

---

[١] د / بسام العموش : هامش البرهان ص ٣٧ ، هامش (٥) وقد ذكر الدكتور بسام أن هذا الأسلوب لا يغير من الحقيقة شيئاً ، ونصح بأن يقوم علماء مذهبه بتلقين عقيدتهم إلى عامة المسلمين ، إذا أرادوا تغيير هذا الواقع .. [نفسه ص ٣٧-٣٨ هامش ٥] ولا أملك -رغم اختلافي معه – إلا أن أحييه على صراحته واعترافه بالواقع .

[٢] انظر مجموع الفتاوى ٤/ ١٧ ، ٣ / ٢٢٩ ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ/١٩٩٥م.

ومنه أيضا : قوله الذي نقلناه سابقاً عن الأشعري : " وَبِمَا وَافَقَ فِيهِ السُّنَّةَ وَالْحَدِيثَ صَارَ لَهُ مِنْ الْقَبُولِ وَالْأَتْبَاعِ مَا صَارَ ... وَكُلُّ مَنْ أَحَبَّهُ وَانْتَصَرَ لَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَائِهِمْ فَإِنَّمَا يُحِبُّهُ وَيَنْتَصِرُ لَهُ بذلك "[1]

فهذا اعتراف صريح من ابن تيمية بما صار للأشعري من القبول وكثرة الأتباع ؛ بسبب موافقته للسنة ، ورده على من خالفها ..

ومنه : قوله عن أئمة الأشعريةً : " إِنَّمَا قُبِلُوا وَاتُّبِعُوا واستحمدوا إِلَى عُمُومِ الْأُمَّةِ .."[2]

فهذا يدل على اتباع عموم الأمة للأشعرية ..

- ومثل : الدكتور محمد السيد الجليند ، الذي يقول : " إن مصطلح أهل السنة والجماعة يشمل الأشاعرة والماتريدية ويشاركهما فيه

---

[1] نفسه ٤ / ١٢ – ١٣.

[2] المصدر السابق ٤ / ١٢ .



المحدّثون [١] . غيرأن الأشاعرة أكثر عددا بين المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي " [٢]

أليس من الغريب جداً ، بعد هذا الذي سقته ، وهو قليل من كثير، أن يقول الباحث :

" دَعْوَى الأشاعرة أَن أكثر أَئِمَّة الْمُسلمين على مَذْهَبهم دَعْوَى عَارِية عَن الدَّلِيل يكذبها الْوَاقِع التاريخي " [٣] ؟ !!

أنصدق هذا الباحث أم العلماء الذين نقلنا عنهم وغيرهم ؟

أنصدقه ونكذب كتب التراجم والتاريخ والواقع ؟

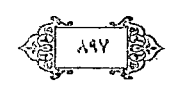
---

[١] وقد ذهب إلى هذا غير واحد من علماء الإسلام ، منهم الإمام السبكي ، والإمام السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ) الذي قال :" أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ثَلَاثُ فِرَقٍ: الْأَثَرِيَّةُ وَإِمَامُهُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْأَشْعَرِيَّةُ وَإِمَامُهُمْ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ، وَالْمَاتُرِيدِيَّةُ وَإِمَامُهُمْ أَبُو مَنْصُورٍ الْمَاتُرِيدِيُّ "[لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ١/ ٧٣ الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م]]

[٢] مقال (الماتريدية) للدكتور الجليند ، ضمن موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي ، ص ٦٣٣ ، إشراف وتقديم : د. محمود حمدي زقزوق ، الناشر : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

وقد ذكر الدكتور الجليند أن أتباع الماتريدية والباحثين فيها يعترفون بغلبة الأشاعرة في العالم الإسلامي المعاصر ، وإن اختلفت تفسيراتهم لذلك . ونقل الدكتور نصوصا من الأتباع والباحثين تؤكد ما قاله .. [انظر المرجع المذكور ، نفس الصفحة والتي تليها]

[٣] منهج الأشاعرة في العقيدة ص ١٢ .



أنتبع قوله أم قول إمام السنة الثقة الثبت ابن عساكر : " إنما الاعتبار بأرباب العلم والاقتدار ، بأصحاب البصيرة والفهم ، وأولئك في أصحابه (أي الأشعري) أكثر ممن سواهم ، ولهم الفضل والتقدم على من عداهم"[1]

وقوله – عن الإمام الباقلاني الأشعري– " كان الكل يتقلدون منه الملة ، من العوام والأئمة ، ويلقبونه بأجمعهم : سيف السنة لسان الأمة " [2] ؟!!

الكل – علماء وعامة – يتقلدون ، والجميع يلقبون ..

وقول الحافظ أبي ذر الهروي – متحدثاً عن الإمام الباقلاني – : "كل بلد دخلته من بلاد خراسان وغيرها لا يشار فيها إلى أحد من أهل السنة إلا من كان على مذهبه وطريقته " [3]

فلماذا إذن يصر الباحث على إخفاء الشمس في رابعة النهار؟

إن الباحث نفسه نطق – في اضطراب واضح – بهذه الحقيقة ، في موضع آخر من بحثه ، لنقرأ ما كتبته يده عن المذهب الأشعري :

إنه " مَذْهَب بدعي لَهُ وجوده الواقعي الضخم فِي الْفِكر الإسلامي ، حَيْثُ تمتلئ بِهِ كثير من كتب التَّفْسِير وشروح الحَدِيث وكتب اللُّغَة والبلاغة وَالْأُصُول فضلا عَن كتب العقائد والفكر، كَمَا أَن لَهُ جامعاته الْكُبْرَى ومعاهده المنتشرة فِي أكثر بِلَاد الْإِسْلَام من الفلبين إِلَى السنغال. " [4]

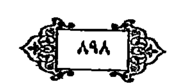
---

[1] تبيين كذب المفتري ٢٤٩ .

[2] نفسه ص ٣٠٢ .

[3] سير أعلام ٥٥٨/١٧ .

[4] منهج الأشاعرة ص ٤ .



فإذا كان الأشعرية بهذا الوجود الضخم ، وعلى هذا الانتشار في العالم الإسلامي ، فكيف لا يكونون أكثرية ؟ !!

وفي موضع آخر يعترف الباحث بانتشار الأشعرية في الأمة ، بل ويصرح بتفردهم باسم (أهل السنة والجماعة) ، إذ يقول :

" ليكن مَعْلُوما أَن ابْتِدَاء أَمر الأشاعرة أَنهم توسلوا إِلَى أهل السّنة (يقصد الحنابلة) أَن يكفوا عَن هجرهم وتبديعهم وتضليلهم وَقَالُوا: نَحن مَعكُم ندافع عَن الدّين وننازل الْمُلْحِدِينَ ، فاغتر بِهَذَا بعض عُلَمَاء أهل السّنة وسكتوا عَنْهُم ، فتمكّن الأشاعرة فِي الْأمة ، ثمَّ فِي النِّهَايَة استطالوا على أُولَئِكَ واستأثروا بِهَذَا الِاسْم دون أَهله " [١]

خلاصة القول : إن علامة (السواد الأعظم) إنما تنطبق على الأشعرية ، بلا تحيز مني ولا عصبية ..

خامساً : العلم بالشريعة (أدوات ومقاصد) .

وأما هذه العلامة : فقد بان من الكلام عن العلامة السابقة أن الأشعرية قد أخذوا منها بسهم وافر [٢]..

---

[١] نفس المصدر السابق ص ١٦ .

[٢] كتبت بحثا بعنوان (موقف فقهاء المذاهب الأربعة من الأشعرية) نشرته بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالقاهرة ، سنة ٢٠١٣م . بينت فيه أن غالبية فقهاء المذاهب الأربعة على المذهب الأشعري في العقيدة .. فراجعه .



وفي هذا يقول الحافظ ابن عساكر – عن الأشعري – " قد صَحبه جمَاعَة أعْلَام ، كل مِنْهُم فِي فنه إمَام ، تفرقُوا فِي الأقطار وَعلمُوا أهل الْأَمْصَار ، فَكَانَ للْخلق هداة ، وَإِلَى الْحق دعاة ، وَعند التَّعْلِيم وعاة ، ولما يُؤَدِّي إِلَى الْبَاطِل نفاة ، فاستبصر بتبصيرهم الجم الْغَفِير ، واهتدى بهديهم الْخلق الْكثير "[1]

ويذكر الإمام عبد القاهر البغدادي (ت: ٤٢٩هـ) أنه "لم يكن .. فى سَائِر أهل الاهواء الضَّالة قطّ إِمَام فى الْفِقْه ، ولَا إِمَام فى رِوَايَة الحَدِيث، ولَا إِمَام فى اللُّغَة والنحو ، ولَا موثوق بِهِ فى نقل المغازى وَالسير والتواريخ ، ولَا إِمَام فِي الْوَعْظ والتذكير ، ولَا إِمَام فى التَّأْوِيل وَالتَّفْسِير وانما كَانَ أَئِمَّة هَذِه الْعُلُوم على الْخُصُوص والعموم من أهل السّنة وَالْجَمَاعَة (يقصد الأشعرية ومن وافقهم)"[2]

سادساً : إقرار الأشعرية بخلافة الأربعة ، وتعظيمهم للسلف :

إن تحقق هاتين العلامتين (الإقرار والتعظيم) في الأشعرية لهو أمر في غاية الوضوح ، ولا يحتاج مني أن أنقل نصوصاً لعلمائهم في ذلك ، وحسب القارئ الكريم أن يطالع أيَّ كتاب من كتبهم في العقيدة ليقف بنفسه على صدق ما أقول .

---

[1] تبيين كذب المفتري ص ٢٩٢ .

[2] الفرق بين الفرق (ص: ٣٠٨) الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٧٧.

هذا ، وقد أقر ابن تيمية بأن الأشعرية " لَا يَطْعَنُونَ فِي السَّلَفِ" [١] بل يعظمونهم وينتحلونهم [٢] ، مع قوله : " إنَّ الْمَشْهُورِينَ مِنْ الطَّوَائِفِ - بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ - الْعَامَّةِ بِالْبِدْعَةِ لَيْسُوا مُنْتَحِلِينَ للسَّلف ... فعلم أنَّ شِعَارَ أَهْلِ الْبِدَعِ : هُوَ تَرْكُ انْتِحَالِ اتِّبَاعِ السَّلَفِ." [٣]

وعليه : تكون الإجابة عن سؤال (في أي الدائرتين يوجد الأشعرية : أهل السنة أم أهل البدع ؟) واضحة تماماً ، وإلا لتناقض كلام ابن تيمية، فتأمله .

سابعاً : الأشعرية لا يكفرون بالذنب :

عرفنا فيما مضى أن أهل السنة لا يكفرون أحداً بذنب ، ما لم يستحله ، ولا يكفرون مخالفيهم .

فأين يقف الأشعرية من هذه القضية ؟

تجيبنا كتبهم وتاريخهم : أنهم كذلك لا يكفرون بالذنب ، وها هي ذي بعض أقوالهم في ذلك - بالاضافة إلى ما ذكرته عند الحديث عن وسطيتهم - :

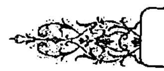
قال الإمام الأشعري - وهويحكي جملة ما عليه أهل السنة - : " ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما

---

[١] مجموع الفتاوى ٤ / ١٥٦ .

[٢] وإن اتهم بعض متأخريهم بمخالفة السلف في بعض المسائل .. [انظر المصدر السابق ٤ / ١٥٦ - ١٥٩]

[٣] مجموع الفتاوى ٤ / ١٥٥ .



أشبه ذلك من الكبائر وهم بما معهم من الإيمان مؤمنـــون وإن ارتكبـــوا الكبائر ." [1]

وقد حكي الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر[2] : إجمـــاع السـلف على ذلك .

وقال الحافظ الصابوني : "ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة صغائر أو كبائر، فإنه لا يكفر بها ، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله عز وجل، إن شاء عفا عنه .. وإن شاء عاقبه .." [3].

وقال عبدالقاهر البغدادي : "وَقَالُوا(أي أهل السنة) إن اسْم الايمان لَا يَزُول بذنب دون الْكفْر وَمن كَانَ ذَنبه دون الْكفْر فَهُوَ مُؤمن وان فسق بمعصيته وَقَالُوا لَا يحل قتل امرىء مُسلم الا باحدى ثَلَاث من ردة اَوْ زنى بعد احصان اَوْ قصاص بمقتول .."[4]

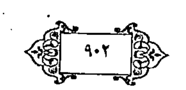
---

[1] مقالات الإسلاميين ص ٢٩٣ ، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر ، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) ، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

[2] انظر ص ١٥٦ منها ، المحقق: عبد الله شاكر، الناشر: عمادة البحـث العلمـي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٤١٣هـ

[3] عقيدة السلف وأصحاب الحديث ١/١٢٤، ١٢٥ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية

[4] الفرق بين الفرق ص: ٣٤٣



هذا ، ولم يكفر الأشعرية مخالفيهم من الفرق الإسلامية :

وقد تحدث الأشعري عن هذه الفرق ، في كتابه الماتع " مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين " ، فسماهم مسلمين ، واعتبر ما بينهم : اختلاف مصلين .

وقد نص على ذلك في المقدمة ، حيث قال : " اختلف الناس بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم في أشياء كثيرة ، ضلل فيها بعضهم بعضاً ، وبرئ بعضهم من بعض ، فصاروا فرقاً متباينين، وأحزاباً متشتتين، إلا أن الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم."[1]

وقد ظل الأشعري على هذا إلى آخر عمره ، انظر إليه ، وهو يُشهد أحدَ تلامذته ، لما قرب حضور أجله ، قائلاً : " اشهد عليّ أنّي لَا أكفر أحدا من أهل هَذِهِ الْقبْلَة لِأَن الْكل يشيرون إِلَى معبود وَاحِد وَإِنَّمَا هَذَا كُله اخْتِلَاف العبارات " [2]

وأكثر أصحابه على هذا الموقف المتسامح من خصومهم ، وفي هذا يقول ابن عساكر :

---

[1] مقالات الإسلاميين ص ١-٢ ت ريتر .

[2] تبيين كذب المفتري ص: ١٤٩ ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤.

وقد أعجب الذهبي بكلمة الأشعري هذه ، وذكر أنها ثابتة رواها البيهقي بإسناده ، وقال : " وبنحو هذا أدين الله .." [سير أعلام النبلاء ١٥ /٨٨ المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م]

"إِن الْأَشْعَرِيّ كَانَ لَا يرى .. تَكْفِير أحد من أهل الْقبْلَة ؛ لسعة فَضله ، وَقد تقدّمت عَنهُ فِي ذَلِك حِكَايَة (تلميذه) زَاهِر بن أَحْمَد ، وَهِي الْحِكَايَة الَّتِي يَنْبَغِي أَن يُصَار إِلَيْهَا فِي التَّكْفِير ويعمد ؛ لِأَنَّهُ القَوْل الْأَخير الَّذِي مَاتَ عَلَيْهِ . وَأكْثر الْمُحَقِّقين من أَصْحَابه ذهب إِلَيْهِ ." [1]

ولله در الإمام الغزالي الذي يقول : " والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه : الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً ؛ فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله : خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم." [2]

ثامناً : الأشعرية لا يستحلون السيف :

يرى الأشعرية " الدعاء لأيمة المسلمين بالصلاح وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف " [3] ، بل ويسعون – حثيثاً – إلى وحدة الصف ورأب الصدع ..

وقد أقر الباحث بسعي القدامى منهم والمعاصرين لتحقيق هذا الهدف ، لكنه – ويا للأسف – رفض الوقوف وإياهم في صف واحد ، لنقرأ تعليقه على قول أحد شيوخ المدرسة التي ينتمي إليها [4] عن

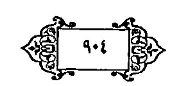
---

[1] تبيين كذب المفتري ص ٤٠٩ .

[2] الاقتصاد في الاعتقاد ص ٨٥ .

[3] مقالات الإسلاميين ص ٢٩٥ ، ت ريتر .

[4] مدرسة الشيخ ابن عبدالوهاب ، وهو الشيخ الفوزان .



الأشعرية :(هم من أهل السنة والجماعة في بقية أبواب الإيمان والعقيدة، وليسوا منهم في باب الصفات) :

" وَهَذَا سبق قلم من فضيلته ، وَمثل هَذِه الدَّعْوَى هِيَ الَّتِي يهش لَهَا الأشاعرة المعاصرون ويروّجونها؛ لِأَنَّهُ إِذا كَانَ الْفَارِق هُوَ الصِّفَات فَقَط قَالُوا: إِن الْخلاف فِيهَا أَصله الِاجْتِهَاد وَالْكل يتفقون على التَّنْزِيه فَكَأَنَّهُ لَا خلاف إِذن ... وَرُبمَا قَالُوا: نَحن مستعدون أَن نثبت لله يدا وعيناً وَسَائِر الصِّفَات فِي سَبِيل تَوْحِيد الصَّفّ ووحدة الْكَلِمَة!!!

وَليكن مَعْلُوما أَن ابْتِدَاء أَمر الأشاعرة أَنهم توسلوا إِلَى أهل السّنة أَن يكفوا عَن هجرهم وتبديعهم وتضليلهم وَقَالُوا: نَحن مَعكُمْ نُدَافِع عَن الدّين وننازل الْمُلْحِدِينَ ..." [١]

يرفض الباحث رفعهم لشعار الوحدة ؛ لأن كلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة ، ودعوى تقديم توحيد الكلمة على كلمة التوحيد مصادمة للحق [٢] .. !!

ومعنى هذا : أن الأشعرية ليسوا موحدين ، ولا يوجد واسطة بين التوحيد والشرك .

أليس هذا تكفيراً واضحاً لهم ؟ مهما ادعى أنه لا يكفرهم.

[١] منهج الأشاعرة في العقيدة ص ١٦ .

[٢] انظر منهج الأشاعرة ص ٤٤- ٤٥ .

تاسعاً : الأشعرية لا يكفر بعضهم بعضاً :

عرفنا من قبل أن من العلامات التي يعرف بها أهل السنة : أنهم – رغم حدوث الخلاف بينهم – لا يتباغضون ولا يفترقون ولا يكفر بعضهم بعضاً.

فهل وجدت هذه العلامة في الأشعرية ؟

يجيبنا عن ذلك ابن عساكر بقوله : " فَأما الْأَصْحَاب فَإِنَّهُم مَعَ اخْتِلَافهمْ فِي بعض الْمسَائِل مجمعون على ترك تَكْفِير بَعضهم بَعْضًا ، بِخِلَاف من عداهم من سَائِر الطوائف وَجَمِيع الْفرق ؛ فَإِنَّهُم حِين اخْتلفت بهم مستشنعات الْأَهْوَاء والطرق كفر بَعضهم بَعْضًا وَرَأى تبريه مِمَّن خَالفه فرضاً ، وَظَهَرت مِنْهُم أَمَارَات المعاداة والتباغض ، كَمَا عرف من فرق الْمُعْتَزلَة والخوارج وَالرَّوَافِض ."[1]

ويؤيد السبكي ابنَ عساكر في ذلك ، بقوله :" وَهَذَا حق ، وَمَا مثل هَذِه الْمسَائِل إِلَّا مثل مسَائِل كَثِيرَة اخْتلفت الأشاعرة فِيهَا ، وكلهمْ عَن حمى أَبى الْحسن يناضلون وبسيفه يُقَاتلُون أفتراهم يبدع بَعضهم بَعْضًا؟"[2]

كلا ؛ إنهم على " تصويب بَعضهم بَعْضًا فى أصل العقيدة ،ودعواهم أنهم أَجْمَعِينَ على السّنة "[3]

---

[1] نفس المصدر السابق والصفحة .

[2] طبقات الشافعية الكبرى ٣/٣٧٨.

[3] نفس المصدر والصفحة .

ويذكر الدكتور محمد السيد الجليند : أن الأشعرية كانوا على ذكر دائم بأنهم قد يختلفون ولكنهم لا يكفر بعضهم بعضاً ، وكانوا يعدون هذا من خصائصهم ومفاخرهم [١].

وقد عقد عبدالقاهر البغدادي فصلاً في كتابه " الفرق بين الفرق" تحدث فيه عن عصمة الله لأهل السنة – يقصد بذلك الأشعرية وموافقيهم – من تكفير بعضهم بعضاً ، بخلاف مخالفيهم ..[٢]

عاشراً :إنكار الأشعرية على أهل البدع ، وردهم عليهم .

هذه العلامة متحققة في القوم بوضوح ، وما نقلته من قبل – عنهم وعن غيرهم – كاف في إظهار ذلك الأمر .

نعم كان الأشعرية – ولا يزالون – " يردون على أهل البدع المشهورين بمخالفة السنة والجماعة كالخوارج والشيعة والقدرية والجهمية " [٣] كما يقول ابن تيمية.

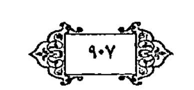
و قد استفاد الحنابلة في إنكارهم على أهل البدع من ردود الأشعرية عليهم ، وهذا ما جعل ابن تيمية يقول: " و الاشعرية فيما

---

[١] مقال " الأشعرية " للدكتور المذكور ، نشر ضمن موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي ، ص ١٠١ بتصرف يسير .

[٢] انظر الفرق ص ٣٦١ ، ومقال الأشعرية ص ١٠١– ١٠٢ .

[٣] الصفدية ١ /٢٧٠ – ٢٧١ .



يثبتونه من السنة فرع على الحنبلية ، كما ان متكلمة الحنبلية فيما يحتجون به من القياس العقلى فرع عليهم "[1]

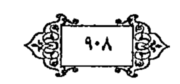
وقد سبقه ابن عساكر إلى تقرير هذه الحقيقة ، حيث قال : " ولم تزل الحنابلة ببغداد في قديم الدهر على ممر الأوقات تعتضد بالأشعرية على أصحاب البدع لأنهم المتكلمون من أهل الإثبات فمن تكلم منهم في الرد على مبتدع فبلسان الأشعرية يتكلم ، ومن حقق منهم في الأصول في مسألة فمنهم يتعلم ." [2]

وبعد : فهذه أهم العلامات التي يعرف بها أهل السنة والجماعة عرضتها على كتب الأشعرية ، بكل موضوعية ، بلا أدنى مجاملة أو عصبية ، وقد أسفر البحث – بحمد الله – عن النتائج التالية :

---

[1] مجموع الفتاوى ٦ / ٥٦ .

[2] انظر : تبيين كذب المفتري ص ١٦٣ ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤





الخاتمة

أولاً : أن صاحب كتاب " منهج الأشاعرة في العقيدة " ذكر أن لمصطلح (أهل السنة والجماعة) معنيين : الأول : أعم ، وهو المقابل للشيعة ، وهذا يدخل فيه كل من سوى الشيعة كالأشاعرة ..

والآخر : أخص ، وهو المقابل لأهل الأهواء والبدع ، وهذا لا يدخل فيه الأشاعرة أبداً..

- وقد بان : أنه لم يكن موفقاً في بيانه لمعنى هذا المصطلح ، وذلك من عدة نواح :

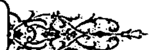
الأولى : أنه عرف الشئ بذكر مقابله ، كالذي يعرف الحركة بأنها ما ليس بسكون ، وهذا ليس دقيقاً في التعريف ..

والثانية : أنه لم يميز بين مفهوم المصطلح لدي العلماء ، وبين معناه في إطلاق العامة والغوغاء..

والثالثة : أنه خلط بين مصطلحي " الشيعة " و "الروافض " ..

والرابعة : أنه أغفل – في نقله عن ابن تيمية – ما ذكره من أصول تميز بين أهل السنة وغيرهم ..

والخامسة : لم يظهر الموقف الصحيح لابن تيمية من مسألة سنية الأشعرية ..



- وقد ظهر أن : الشيخ ابن تيمية يرى أن اسم " السنة المحضة " لا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات ، والقدر ، والرؤية ، ويرفض القول بخلق القرآن ..

- وأنه يقر بأن الأشعرية يقولون بهذه الأصول ، في الجملة ، وإن نازع بعض المتأخرين منهم في بعضها ، في التفصيل ..

ثانياً : ظهر أن :

- أن مصطلح (أهل السنة والجماعة) يعني في اللغة : أصحاب الطريقة المجتمعين الكثر

- وأنه يعني في اصطلاح علماء أصول الدين : أهل الطريقة المستقيمة ، المتبعين لطريقة النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم – في الاعتقاد ، والمجتمعين عليها المتكاثرين ..

- وأن أهم العلامات التي يعرف بها هؤلاء ، هي :

١- تلقي العقائد من محكمات الكتاب والسنة

٢- رد المتشابهات إلى المحكمات .

٣- التوسط والاعتدال ، بلا إفراط ولا تفريط .

٤- كونهم السواد الأعظم (الأكثرية).

٥- العلم بالشريعة (أدوات ومقاصد) .

٦- الاقرار بخلافة الأربعة – رضي الله عنهم – وفضلهم .

٧- تعظيم السلف الصالح – رضي الله عنهم – وانتحالهم ، وعدم الطعن فيهم .

٨- عدم التكفير بالذنب .

٩- عدم استحلال السيف .

١٠- عدم التفرق والتباغض والتكفير لبعضهم ، رغم وجود الخلاف.

١١- عدم الخروج على إمام الجماعة .

١٢- الانكار على أهل الأهواء والبدع .

- وأن مصطلح (أهل الأهواء والبدع) يعني في اللغة : أصحاب الميل ، والإحداث لما لم يكن .

- ويعني في اصطلاح علماء العقيدة : أهل طريقة الهوى ، المخترعين لما لم يكن عليه النبي وأصحابه في العقائد ، والمفارقين لجماعة المسلمين..

- وأن أهم العلامات التي يعرف بها هؤلاء ، هي :

١- اتباع الهوى .

٢- القول بالتحسين والتقبيح العقليين .

٣- اتباع المتشابهات ، ابتغاء الفتنة وطلب معناها .

٤- صرف محكمات القرآن عن ظواهرها ، بلا ضرورة ، ورد الأحاديث وتجريح رواتها الثقات .

٥- الجهل بالشرع (أدوات ومقاصد) .

٦- رفض خلافة بعض الخلفاء الأربعة ، والطعن فيهم .

٧- بغض السلف ولعنهم .

٨- التكفير بالذنب ، وللمخالف .

٩- استحلال السيف ، والخروج على إمام الجماعة .... إلخ

ثالثاً : قد بان – من خلال العرض – أنه ما من أصل من الأصول ، أو علامة من العلامات التي يعرف بها أهل السنة والجماعة ، إلا وهي موجودة في الأشعرية ، ومنطبقة عليهم ..

- وقد شهد كبار علماء الأمة ، وأئمة المذاهب ، بأن الأشعري وأصحابه إنما انتصر لعقيدة السلف ، ودافعوا عنها بالعقل ، وأن من طعن فيهم فقد طعن في جميع (أهل السنة والجماعة).

- وقد شهد لهم الموافق والمخالف إلا من شذ : بأنهم إنما يمثلون الأكثرية (السواد الأعظم) بعد عصر السلف .

- وقد ذكر الخبير بالملل والنحل الشهرستاني : بأن الأشعرية – بعد عصر السلف –أصبحت المذهب الرسمي لأهل السنة والجماعة .

- وقد صرح الباحث : بأنهم استأثروا بهذا الاسم (أهل السنة) دون أصحابه (يقصد الحنابلة) والحقيقة : أنهم لم يستأثروا به ؛ وإنما يدخلون معهم إخوانهم الماتريدية والمحدثين .

وهذا ما أميل إليه وآخذ به ، وبالله تعالى التوفيق والسداد .

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : كتب السنة النبوية .

ثالثاً : كتب العلماء .

١- الإبانة عن أصول الديانة : الأشعري ، تحقيق د. فوقية حسين ، الناشر دار الأنصار – القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ م.

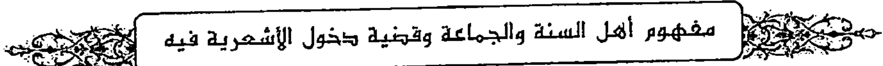
٢- الأسماء والصفات : البيهقي ، تقديم وتعليق زاهد الكوثري ، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة ، ط١ ، بدون تاريخ.

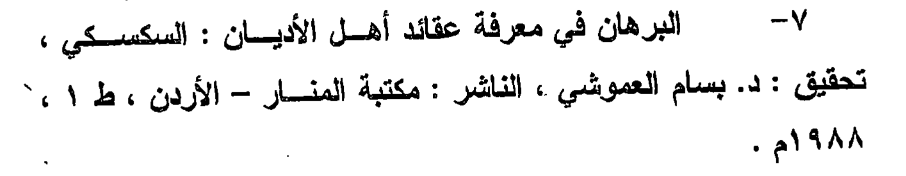
٣- أصول الدين : البغدادي ، طبعة استانبول ، مطبعة الدولة ، ط١ ، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م

٤- الاعتصام ، الشاطبي ، تحقيق محمد عبدالرحمن الشقير،وآخرين ، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٥- الاقتصاد في الاعتقاد : الغزالي ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ، ط الأخيرة .

٦- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به : الباقلاني ، تحقيق زاهد الكوثري ، الناشر مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .





٧- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان : السكسكي ، تحقيق : د. بسام العموشي ، الناشر : مكتبة المنار - الأردن ، ط ١ ، ١٩٨٨م .

٨- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية : ابن تيمية ، تحقيق ابن قاسم ، مطبعة الحكومة - مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٢هـ .

٩- تأويل مختلف الحديث : ابن قتيبة ، ضبطه محمد زهري النجار ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

١٠- تبيين كذب المفتري ص: ١٤٩ ، تقديم وتعليق محمد زاهد الكوثري ، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة ، ط ١ ، بدون تاريخ . وأيضا: طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤.

١١- ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، القاضي عياض ، تحقيق سعيد أحمد أعراب ، الناشر مكتبة فضالة - المحمدية ، المغرب ، ط١ ، ١٩٨٢م

١٢- التعريفات : الجرجاني ، طبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٥٧هـ -١٩٣٨م .

١٣- تلبيس إبليس : ابن الجوزي ، تحقيق رضوان جامع رضوان ، الناشر المكتب الثقافي - القاهرة ، ط٢ ،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

١٤- تيسير القواعد المنطقية شرح الرسالة الشمسية ، د. محمد شمس الدين إبراهيم ، تصحيح د. نصر القاضي ، مطبعة حسان – القاهرة ، ط ٤ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٥- جامع العلوم والحكم : ابن رجب ، تحقيق ماهر الفحل ، الناشر الدار العلمية – الأزهر، ط ١ ،١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

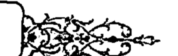
١٦- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ابن تيمية ، تحقيق د. علي حسن ناصر وآخر ، الناشر دار العاصمة – الرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

١٧- رسالة إلى أهل الثغر: الأشعري ، تحقيق د. محمد السيد الجليند، سلسة التراث السلفي (القسم الأول : نوادرالمخطوطات) مطبعة التقدم ، بدون تاريخ .

وأيضاً:طبعة عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٤١٣هـ ، تحقيق عبد الله شاكر.

١٨- الرسالة اللدنية ، الغزالي ، نشرت ضمن القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي ، تحقيق محمد مصطفى أبوالعلا ، الناشر مكتبة الجندي – القاهرة .

١٩- سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م



٢٠- شرح العقيدة الأصفهانية : ابن تيمية ، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد ،الناشر: المكتبة العصرية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٥هـ.

٢١- شرح العقيدة الطحاوية : عبدالغني الميداني ، إخراج كامل الحسيني ، الناشر دار البصائر - القاهرة ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٢- شرح النووي على مسلم : الناشر مكتبة الصفا - القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

٢٣- طبقات الشافعية الكبرى : التاج السبكي ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ .

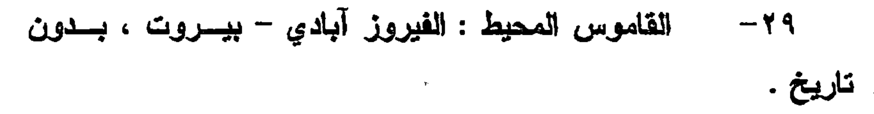
٢٤- ظهر الإسلام : أحمد أمين ، الناشر المكتبة التوفيقية - القاهرة ، بدون تاريخ .

٢٥- العواصم من القواصم : لابن العربي، تحقيق د. عمار الطالبي ، الناشر مكتبة دار التراث - القاهرة ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧.

٢٦- فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ابن حجر ، الناشر المكتبة السلفية - القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ :

٢٧- الفرقان بين الحق والباطل : ابن تيمية ، الناشر دار الطباعة المحمدية بالأزهر - القاهرة ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٢٨- الفرق بين الفرق ، عبدالقاهر البغدادي ، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٧٧.



٢٩- القاموس المحيط : الفيروز آبادي – بيروت ، بدون تاريخ .

٣٠- كشف الكربة في وصف أهل الغربة : ابن رجب ، مطبوع ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي ، تحقيق: أبي مصعب الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة ، ط٢، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

٣١- لسان العرب : ابن منظور ، الناشر دار صادر – بيروت ، ط ١.

٣٢- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، السفاريني الحنبلي ، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م.

٣٣- الماتريدية : د. الجلينـد ، ضمن موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي ، ص ٦٣٣ ، إشراف وتقديم : د. محمود حمدي زقزوق، الناشر : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

٣٤- مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ،١٤١٣هـ/١٩٩٥م.

٣٥- مسائل العقيدة الإسلامية بين التفويض والإثبات والتأويل : د. عبدالعزيز سيف النصر، الناشر مكتبة الإيمان - القاهرة ، ط١ ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م .

٣٦- المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، ط الأخيرة ، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م .

٣٧- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين : الأشعري ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية - بيروت ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

وأيضاً: طبعة هلموت ريتر ، الناشر: دار فرانز شتايز- ألمانيا، ط٣، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٣٨- المقدمة : ابن خلدون ، تحقيق : خليل شحادة ، الناشر: دار الفكر - بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م .

٣٩- الملل والنحل : الشهرستاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني، الناشر دار صعب - بيروت ،١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٤٠- منهاج السنة النبوية : ابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، الناشر مؤسسة قرطبة ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ .

٤١- مناهج الأدلة في عقائد الملة : ابن رشد ، تحقيق محمد عبدالرحمن الشاغول ، الناشر المكبة الأزهرية للتراث - القاهرة ، ٢٠١٠م .

٤٢- منهج الأشاعرة في العقيدة : د سفر الحوالي ، طبع مكتبة العلم – القاهرة ، بدون تاريخ .

٤٣- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: المقريزي ، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ .

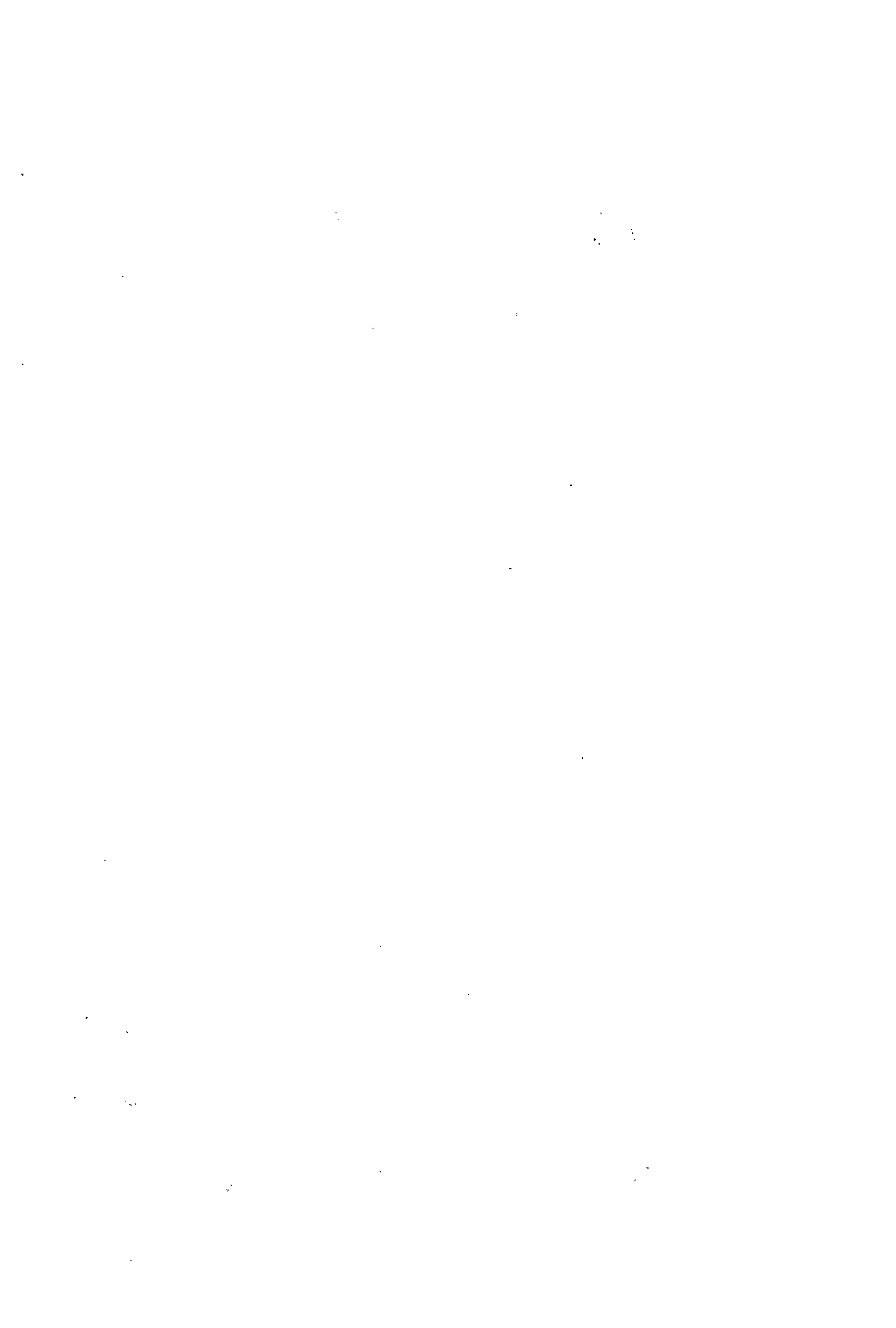
٤٤- الموافقات : الشاطبي ، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، الناشر: دار ابن عفان ، ط١ ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٤٥- نقض المنطق : ابن تيمية ، تحقيق محمد عبدالرازق وآخر ، تصحيح محمد حامد الفقي ، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت ،ط ١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٤٦- نهاية السول في شرح منهاج الأصول : الإسنوي ، طبعة جامعة الأزهر ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٤٧- هوامش على الاقتصاد في الاعتقاد : أ.د.محمد عبدالفضيل القوصي ، الناشر مكتبة الإيمان – القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

٤٨- الوجيز في علوم الحديث : د. الخشوعي الخشوعي ، طبعة الجمعية الشرعية ٢٠٠٨م.



فهرس الموضوعات

